الرابطة

السنة ٥٣ العدد ٦٠٥ جمادى الآخرة ١٤٣٨هـ - مارس ٢٠١٧م

زيارة ناجحة للأمين العام
إلى النمسا تشهد فعاليات
مميزة ولقاءات مثمرة

العيسى ملتقياً في فيينا بعدد من الشخصيات :

رابطة العالم الإسلامي جسر للتواصل الإسلامي العالمي في بُعده الوسطي الحاضن

سماحة المفتي يشيد بجهود رابطة العالم الإسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

وقفة مع كلمة الأمين العام في فعاليات أسبوع الوئام بفيينا

ألقى معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الشيخ الدكتور محمد بن عبد الكريم العيسى كلمة ضافية في أسبوع الوئام بين أتباع الأديان والثقافات الذي عقد في العاصمة النمساوية فيينا يوم ١٠ جمادى الأولى ١٤٣٨هـ الموافق ٠٧ فبراير ٢٠١٧م. وهي الكلمة التي اهتمت بها بعض وسائل الإعلام المحلية والعالمية وعلَّقت عليها بأنها تأكيد على المفاهيم الإسلامية الراسخة في الاعتدال والتعايش والتسامح.

وكانت الكلمة قد ركزت على بيان أن الإسلام جاء للتعايُش والسلام والمحبة لكافة بني الإنسان، وأوضحت «أن الإسلام الداعي للتعايُش، والسلام والمحبة، والعطف والرحمة، جاء لكافة بني الإنسان، وليقرر أنه لا إكراه في اعتناق القناعات، وأنه يجب المساواةُ في الحقوق والواجبات، مع الجميع بغض النظر عن أديانهم، أو مذاهبهم، أو أفكارهم، أو أجناسهم، وأنه لا مجال للإخلال بهذه القيم العادلة تحت أي ذريعة».

وبيَّن معالي الأمين العام في كلمته، أن نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم، قد تعايش مع جميع الأديان، ولم يواجه إلا المعتدين على حريات الناس، في اختيار الدين، وأولئك الذين أشاعوا الظلم، والاضطهاد، والفوضى، ولقد أجاز الإسلامُ التصاهُرَ العائلي مع أهل الديانات السماوية، ليؤكد هذا التشريع مستوى الانفتاح والتعايُش، ومستوى إتاحة المجال لحُرية اعتناق الدين، دون إكراه أو إملاء، وكذلك مستوى الثقة بالآخرين، في أخطر الأشياء، وهو بناء الأُسرة.

وأكد معاليه أنه «لم يَنْتَشِرْ عبر التاريخ إلا صحيحُ الإسلام، أما التطرف الديني، فظل في كهوفه محارَباً محاصَراً يَذكره التاريخُ في فصوله المظلمة من حينٍ لآخر، مثلما يَذْكر حالاتِ التطرف في جميع الأديان، فلا يُوْجَد دينٌ في أصله متطرفٌ، كما لا يُوجَدُ دين يخلو من التطرف، ولا شك أن الدين جزء مهم، من ركائز الحل والسلم، في أي قضية تمَسُّ الشعوب».

وأشاد معاليه بدور منظمة الأمم المتحدة، والمنظماتِ الدولية الأخرى، في تعزيز قيم الحوار، والتواصُل، بين أتباع الأديان، والثقافات، والمهام الكبيرة، التي يقوم بها مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز العالمي للحوار بين أتباع الأديان والثقافات، لتُكْسِبَنا هذه المؤسساتُ العالمية مزيداً من التعارُف والتعاوُن والاحترام والإثراء المتبادل.

وأوضح أن رابطة العالم الإسلامي، لا تُفرّق في قيمها الرفيعة، والعادلة، ونشاطِها الإنساني الإغاثي، لا تُفرق لأي سبب ديني، أو مذهبي، أو فكري، أو عرقي، أو جغرافي، ومُهمَّتُها جمعُ الرابطة الدينية الإسلامية، تُجَاه هذه الوجهة الرفيعة والتلاقي الإيجابي، نحو الخير والسلام والوئام الذي نتمناه للبشرية أجمع، كما هو هدفنا النبيل من اجتماعنا هذا.

وقال « إننا بوعينا ومحبتنا، سنَهزم التخلف والتطرف، والتعصبَ والكراهية والعنف، وننشرُ التسامح، ونحقق المحبة والتلاحم والتعاون، ليعيشَ الجميع في سلم ووئام، ونُدركَ بالحقيقة الظاهرة أن الأديانَ بريئةٌ من هذه النزاعات والصراعات».

وأشار العيسى إلى أنه يجب أن نستدعيَ المنطقَ السليم والعادل، بأن كثيراً من الوقائع التاريخية، والآراءِ الدينية والسياسية والاجتماعية السلبية، التي تَستخدم الدينَ كأداةٍ على امتداد تاريخنا الإنساني، لا تُعبّر مطلقاً عن حقيقة الدين الذي تنتسب إليه، أو تَنسب أفعالها له، ولا نعتقد أن صفة اعتبارية أُسيء إليها بانتحال شخصيتها، مثلما أسيء للدين، وعندما لا يعي الآخرون هذه الحقيقة، ويتنبهون لها، أو يغالطون فيها، فإنهم حتماً سيكونون في عداد من أسهم وروج لتزوير الواقع.

وأكد معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي أن على القيادات الدينية والثقافية حول العالم مسؤوليةً كبيرة، في تحقيق تلك الغايات النبيلة، التي أرادها الخالق منا، ولاسيما مواجهةَ الكراهيةِ والصراعِ الدينيِّ والثقافي، الذي يكشف ـ مع بالغ الأسف ـ حقيقةَ بعض البشر لا حقيقةَ الأديان، فالدين الحق متسامحٌ متسامٍ متصالحٌ جاء بالخير والمحبة لبني البشرية.

وبذلك فإن معالي الأمين العام قد أكد الموقف الصحيح للإسلام والمسلمين مكان المفهوم الموروث والسائد في أوساط سياسية معينة في العالم. وكان التركيز على تبرئة الأديان من النزاعات والصراعات أمرًا لافتًا، إذ لم تحمِّل الكلمة مسؤولية القتل الذي طال الملايين في تاريخ البشرية للدين، بل إلى المنحرفين عن قيم التدين الصحيح، وإلى المتعصبين ودعاة الكراهية من كافة الأديان، ممن انحازوا لإرادة القوة ولمصالحهم الضيقة غير آبهين بالخير والشر.

لقد كانت الأديان الإلهية ترياقًا من الحروب، إذ الأصل الذي دعت إليه في علاقات الشعوب بعضها ببعض هو السلام، ولكن من المؤسف أن تاريخ البشرية كله انطوى على القتال والصراع، بل عمد الناس إلى الدين الذي أنزله الله حكمًا بينهم، ليحيلوه وقودًا لصراعاتهم، واستخدموه للتمييز وتعزيز المشاعر السلبية. خلال ٣٣٥٨ سنة بين ١٤٩٦ قبل الميلاد إلى ١٨٤١ ميلادية أحصى المؤرخ البريطاني هـ.ج. ويلز ٢٢٧ عاماً فقط عاشتها البشرية في حالة سلام نسبي، وحتى هذه الفترة المحدودة من السلم استغلتها البشرية في الإعداد والتجهيز لحرب جديدة.

السلام مطلب عزيز للبشرية اليوم، كما كان مطلبًا عزيزًا طوال التاريخ الإنساني، لذلك فإن الكلمة الرصينة التي حملت وصايا الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، جديرة بأن ينصت لها العالم، لأنها منطلقة من رسالة الدين الخالد: دين الإسلام الحق، ونابعة من معين الهدي النبوي الذي أرساه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الرابطة

شهرية - علمية - ثقافية

معالي الأمين العام

أ.د. محمد بن عبد الكريم العيسى

المشرف العام على المهام الإعلامية المكلف

أ. عادل بن زامل الحربي

مدير إدارة الشؤون الإعلامية

محمد بن بكر حمدي

رئيس التحرير

د. عثمان أبوزيد عثمان

مدير التحرير

شاكر بن صلاح العدواني

المراسلات: مجلة الرابطة ص.ب ٥٣٧ مكة المكرمة

هاتف: ٠٠٩٦٦١٢٥٣٠٩٣٨٧

فاكس: ٠٠٩٦٦١٢٥٣٠٩٤٨٩

المراسلات على عنوان المجلة باسم رئيس التحرير

البريد الإلكتروني: rabitamag@gmail.com

الموضوعات والمقالات التي تصل إلى مجلة «الرابطة» لا ترد إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر

للاطلاع على النسخة الإلكترونية للمجلة الرجاء زيارة موقع الرابطة على الإنترنت www.themwl.org

أخبار العالم الإسلامي www.mwl-news.net

طبعت بمطابع تعليم الطباعة

رقم الإيداع: ١٤٢٥/٣٤٣ - ردمد: ١٦٩٥-١٦٥٨

أمين عام رابطة العالم الإسلامي:
الإسلام جاء للتعايُش والسلام والمحبة لكافة بني الإنسان

فيينا -

=أكد معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الشيخ الدكتور محمد بن عبد الكريم العيسى، أن الإسلام جاء للتعايُش والسلام والمحبة لكافة بني الإنسان.

وقال معاليه في كلمته خلال فعاليات أسبوع الوئام بين أتباع الأديان والثقافات الذي عقد في العاصمة النمساوية فيينا: "عندما نكون على مستوى هذا الوعي الروحي والثقافي والإنساني، الذي تقوده هذه النخب المتميزة، التي نراها هذا اليوم بكل شرف واعتزاز، فإننا بدون شك سنجعل الضميرَ العالمي أكثرَ وعياً".

المحتويات

الإسلام جاء للتعايُش والسلام والمحبة لكافة بني الإنسان..... ٤

الأمين العام للرابطة يزور مركز الملك عبدالله العالمي للحوار..... ٦

الرابطة جسر للتواصل الإسلامي العالمي في بُعده الوسطي الحاضن..... ٧

المفتي يشيد بجهود الرابطة وأمينها العام في الذبِّ عن الدين..... ١١

استقبالات الأمين العام..... ١٢

شرق وغرب..... ١٣

فهد الحربي: التشيع والتنصير أكبر الأخطار التي تواجه المسلمين في إندونيسيا.. ١٧

مسلم مزيف يدخل مكة حاجاً!..... ٢٣

علماء أعلام من الصين في خدمة الإسلام والمسلمين (٣/٢)..... ٢٦

المحتويات

العدد: ٦٠٥
جمادى الآخرة ١٤٣٨هـ - مارس ٢٠١٧م

فهد الحربي : التشيع والتنصير أكبر الأخطار التي تواجه المسلمين في إندونيسيا

ضيفنا لهذا العدد هو الأستاذ فهد محمد سند الحربي مدير مكتب الرابطة في إندونيسيا. ناقشنا معه أحوال المسلمين هناك والتحديات التي تواجههم، إضافة إلى واقع الدعوة والجهود الدعوية، ولعل من أخطر التحديات كما يتبين في حوارنا، النشاط التنصيري للمنظمات الأوروبية والأمريكية، وكذلك التشيع الذي صار له وجود ملموس في بعض المناطق الإندونيسية.

موقف علماء الأزهر من الطلاق الشفوي..... ٢٨
مسجد البرازيل مناشط دعوية وثقافية..... ٣٠
مثال لتجاوز الانتماء العِرقي الطائفي إلى الوحدة والتعاون..... ٣٢
الحضارة الإسلامية في شرق إفريقيا..... ٣٨
منهج القرآن الكريم في تنمية العمليات العقلية المعرفية (٢/ ٣)..... ٤٢
لماذا ازدهرت سنغافورة بعد ذبول؟..... ٤٧
تجارة الأعضاء : أكثر من ملياري دولار أمريكي عائداتها السنوية !..... ٥١
من مسرح الغناء إلى محراب القرآن..... ٥٦
إستراتيجية واقعية لحماية الإسلام والمسلمين..... ٥٨
الكليات العربية بالديار المليبارية في الهند..... ٦١

ازوروا مسجدي) حملة بريطانية للتعريف بالإسلام

الجزيرة نت

نُظمت في بريطانيا حملة باسم «زوروا مسجدي»، لتعريف غير المسلمين بالمسجد ودوره في حياة المسلمين، وبأساسيات الدين الإسلامي.

وفتحت المساجد أبوابها أثناء هذه الحملة التي تنظم كل عام أمام غير المسلمين لزيارتها وتوجيه أسئلتهم عن الإسلام ومبادئه. وتأتي الحملة هذه المرة في ظل تصاعد الدعوات اليمينية المتطرفة ضد المسلمين في الغرب، وعلى خلفية تعرض مساجد بعدد من البلدان -مثل كندا وألمانيا- لاعتداءات.

ولا تألو مساجد بريطانيا جهدا لصد موجات الإسلاموفوبيا (أو الخوف من الإسلام) والأفكار الخاطئة والأحكام المسبقة عن المسلمين الذين يشكلون خمس الشعب البريطاني.

ويشعر القائمون على هذه المساجد بضرورة التحرك في مثل هذه الأوقات العصيبة التي زاد فيها العداء للمسلمين، ولا سيما مع تصويت بريطانيا للخروج من الاتحاد الأوروبي وتنصيب دونالد ترمب رئيسا للولايات المتحدة.

وجاء قرار ترمب الأخير بمنع مواطني سبع دول مسلمة من دخول بلاده، ليفاقم من كراهية المسلمين التي بدا أحد تجلياتها في الهجوم على مصلين بمسجد بمدينة كيبيك الكندية قبل أيام قليلة.

الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي :

الإسلام جاء للتعايُش والسلام والمحبة لكافة بني الإنسان

فيينا ـ

أكد معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الشيخ الدكتور محمد بن عبد الكريم العيسي، أن الإسلام جاء للتعايُش والسلام والمحبة لكافة بني الإنسان.

وقال معاليه في كلمته خلال فعاليات أسبوع الوئام بين أتباع الأديان والثقافات المنعقد في العاصمة النمساوية فيينا: «عندما نكون على مستوى هذا الوعي الروحي والثقافي والإنساني، الذي تقوده هذه النخب المتميزة، التي نراها هذا اليوم بكل شرف واعتزاز، فإننا بدون شك سنجعل الضميرَ العالمي أكثرَ وعياً، وأمام حالة مستدامة من السلم الروحي والثقافي والحضاري، وحتماً سيتلو ذلك السلم السياسي والاجتماعي، وذلك أن غالب صراعات الدول «سياسياً»، وتصادمَ الشعوب «ثقافياً»، يعود لتنافُر فكريٍّ، يفتقدُ أبسطَ متطلبات المنطق السليم، ومهاراتِ التواصل الحكيم».

وأوضح «أن الإسلام الداعي للتعايُش، والسلام والمحبة، والعطف والرحمة، جاء لكافة بني الإنسان، وليقرر أنه لا إكراه في اعتناق القناعات، وأنه يجب المساواةُ في الحقوق والواجبات، مع الجميع بغض النظر عن أديانهم، أو مذاهبهم، أو أفكارهم، أو أجناسهم، وأنه لا مجال للإخلال بهذه القيم العادلة تحت أي ذريعة.

وأضاف معالي أمين عام رابطة العالم الإسلامي أنه عندما نستعرض التاريخ الإنساني، نقف على تلك الفصول المؤلمة، التي استُخْدِمَتْ فيها كافةُ الأديان كورقة لتمرير الأهداف، والأجندات، بعيداً عن القيم والأخلاق، ونُبل الرسالة الربانية.

وبين العيسى، أن نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم، قد تعايش مع جميع الأديان، ولم يواجه إلا المعتدين على حريات الناس، في اختيار الدين، وأولئك الذين أشاعوا الظلم، والاضطهاد، والفوضى، ولقد أجاز الإسلامُ التصاهُرَ العائلي مع أهل الديانات السماوية، ليؤكد هذا التشريع مستوى الانفتاح والتعايُش، ومستوى إتاحة المجال لحُرية اعتناق الدين، دون إكراه أو إملاء، وكذلك مستوى الثقة بالآخرين، في أخطر الأشياء، وهو بناء الأسرة.

وأكد معاليه أنه «لم يَنْتَشِرْ عبر التاريخ إلا صحيحُ الإسلام، أما التطرف الديني، فظل في كهوفه محارَباً محاصَراً يَذكره

التاريـــخُ في فصوله المظلمة من حين لآخر، مثلما يَذْكر حالاتِ التطرف في جميع الأديان، فلا يُوْجَد دينٌ في أصله متطرفٌ، كما لا يُوجَدُ دين يخلو من التطرف، ولا شك أن الدين جزء مهم، من ركائز الحل والسلم، في أي قضية تمَسُّ الشعوب».

وأشـــاد معاليه بدور منظمة الأمم المتحدة، والمنظماتِ الدولية الأخرى، فـــي تعزيز قيم الحـــوار، والتواصُل، بين أتبـــاع الأديان، والثقافات، والمهام الكبيرة، التي يقوم بها مركز الملك عبدالله بن عبـــد العزيز العالمي للحـــوار بين أتباع الأديـــان والثقافات، لتُكْسِبَنا هذه المؤسساتُ العالمية مزيداً من التعارُف والتعاوُن والاحترام والإثراء المتبادل.

وأوضح أن رابطة العالم الإسلامي، لا تُفرّق في قيمها الرفيعة، والعادلة، ونشاطِها الإنساني الإغاثي، لا تُفرق لأي سبب ديني، أو مذهبـــي، أو فكـــري، أو عِرقي، أو جغرافـــي، ومُهمَّتُها جمعُ الرابطة الدينية الإسلامية، تجاه هذه الوجهة الرفيعة والتلاقي الإيجابي، نحو الخير والســـلام والوئام الذي نتمناه للبشـــرية أجمع، كما هو هدفنا النبيل من اجتماعنا هذا.

وقـــال « إننـــا بوعينا ومحبتنا، ســـنَهزم التخلـــف والتطرف، والتعصـــبَ والكراهية والعنف، وننشـــرُ التســـامح، ونحقق المحبـــة والتلاحم والتعـــاون، ليعيشَ الجميع في ســـلم ووئام، وندركَ بالحقيقـــة الظاهرة أن الأديانَ بريئـــةٌ من هذه النزاعات والصراعات».

وأشار العيســـى إلى أنه يجب أن نســـتدعيَ المنطقَ السليم والعـــادل، بأن كثيـــراً من الوقائـــع التاريخيـــة، والآراءِ الدينية والسياســـية والاجتماعية الســـلبية، التي تَســـتخدم الدينَ كأداةٍ على امتداد تاريخنا الإنساني، لا تُعبّر مطلقاً عن حقيقة الدين الذي تنتسب إليه، أو تَنســـب أفعالها له، ولا نعتقد أن صفة اعتبارية أُسيء إليها بانتحال شخصيتها، مثلما أسيء للديـــن، وعندما لا يعي الآخرون هذه الحقيقة، ويتنبهون لها، أو يغالطون فيها، فإنهم حتماً ســـيكونون في عداد من أسهم وروج لتزوير الواقع.

وأكد معالـــي الأمين العام لرابطة العالم الإســـلامي أن على القيادات الدينية والثقافية حول العالم مسؤوليةً كبيرة، في تحقيـــق تلك الغايات النبيلة، التي أرادها الخالق منا، ولاســـيما مواجهةَ الكراهيةِ والصراع الدينيِّ والثقافي، الذي يكشف مع بالغ الأسف حقيقة بعض البشر لا حقيقةَ الأديان، فالدين الحق متسامحٌ متسامٍ متصالحٌ جاء بالخير والمحبة لبني البشرية.

الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي يزور مركز الملك عبداللّه بن عبدالعزيز العالمي للحوار

فيينا:

نـــوه معالي الأمين العـــام لرابطة العالم الإســـلامي الدكتور محمد بن عبدالكريم العيســـى بجهود مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز العالمي للحوار بين أتباع الأديان والثقافات في تعزيز قيم التعايش والتفاهم والتعاون بين الشـــعوب وبناء السلام ومكافحة التطرف.

جـــاء ذلك خلال زيـــارة معالـــي الدكتور العيســـى لمقر المركز بالعاصمة النمســـاوية فيينا حيث كان في استقباله معالي الأمين العام لمركـــز الملك عبدالله بن عبدالعزيز العالمي للحوار بين أتباع الأديان والثقافات الأســـتاذ فيصل بن عبدالرحمن بن معمر وأعضاء مجلس إدارة المركز.

وأكد معالي الدكتور محمد العيسى الذي اطلع على أنشطة المركز وبرامجه الحوارية المتعددة خلال الاجتماع بأعضاء المجلس أن جهـــود المركـــز حققت خطـــوات متقدمة في إثـــراء الحوار العالمـــي فكراً ومعرفة وبحثاً من خـــلال فعالياته التي عقدها في الســـنوات الماضية في عدد من بلدان العالم، مشـــيراً إلى أن المركز يشـــكل واجهة حضارية مشرفة للتعاون الحواري بين مختلف أتباع الأديان والثقافات.

ودعا خلال زيارته إلى تعزيز التعاون بـــين المركز ورابطة العالم الإسلامي بما يسهم في ترســـيخ قيم التعايش بين المجتمعات وبما يعزز التعاون بين المنظمات الدولية.

من جهته، رحب معالي الأستاذ فيصل بن عبدالرحمن بن معمر بزيارة معالي الدكتور العيسى، مؤكداً أن هذه الزيارة ستسهم في إثراء المجال الحواري بما تملكه رابطة العالم الإسلامي من تاريخ وتجربة في صياغة عدد من المفاهيم المعاصرة وتبيان المفاهيم الإسلامية الصحيحة في عالم اليوم ومناقشة عدد كبير من القضايا الراهنة التي يواجهها العالم العربي والإسلامي.

وأضاف ابن معمـــر أن الرؤى المنهجية الســـديدة التي تبديها رابطة العالم الإســـلامي وحرصها علـــى تقديم ما يثري الفكر الإســـلامي والعالمي بالتصورات والبحوث والدراسات، وكذلك عبر الفعاليات التي عقدتها ســـوف يحفز كثيرا من مجالات التعـــاون بـــين المركز والرابطـــة، ويؤكد على القيـــم المعرفية والمنهجية في أداء رســـالة الحوار التي تشـــكل أرضية راسخة في عالم التواصل الثقافي والإنســـاني وهو الأمر الذي يدعونا إلى التفاعل والتواصل والتعايـــش من أجل تعزيز مبادئ الحوار وقيم السلام.

العيسى ملتقياً في فيينا بعدد من الشخصيات الإسلامية والفكرية والاستشراقية:

رابطة العالم الإسلامي جسر للتواصل الإسلامي العالمي في بُـعده الوسطي الحاضن

التقى معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي عضو هيئة كبار العلماء الشيخ الدكتور محمد بن عبد الكريم العيسى عدداً من المفكرين والمستشرقين ورموز الأديان في فيينا.

كما التقى معاليه قيادات المراكز والمكاتب الإسلامية متعددة المظلات والمرجعيات في فيينا، وهيئة الإغاثة الإنسانية، وأعضاء المركز الإسلامي في فيينا التابع لرابطة العالم الإسلامي بحضور جمع من الشخصيات الإسلامية في فيينا.

كما التقى معاليه عدداً من الشخصيات والرموز لعدد من الأديان.

وتناولت تلك اللقاءات عدداً من الموضوعات، حيث قال معاليه إن رابطة العالم الإسلامي جسر للتواصل الإسلامي العالمي في بُعده الوسطي الحاضن.

وفي حديث مستفيض عن آفة الإرهاب قال معاليه إن الإرهاب يحكم عالماً افتراضياً لا نطاقاً جغرافياً ضيقاً، وليس هناك من سبيل للقضاء الكامل عليه إلا من خلال مواجهة رسائله بكفاءة عالية، هذه الرسائل التي ترسخ يوماً بعد يوم مع بالغ الأسف لأيديولوجيته الإجرامية، وذلك لتفكيك رسائلها فهي التي تمثل مصدر إمداده وتغذيته.

وأضاف العيسى: إنه مع الأهمية القصوى للمواجهات

العسكرية للإرهاب حول العالم إلا أنه يعد بمولود جديد من خلال جذور تغذيته الفكرية، موضحاً أن للإرهاب أتباعاً ينفذون أهدافه الإجرامية حول العالم لحقوا به عبر عالمه الافتراضي لا يعلم الإرهاب عنهم شيئاً وليس بينهم وبينه تواصل مباشر إلا من خلال رسائلهم الانتحارية، والاتباع المسبق لأساليبه الموجهة لمستهدفيه لصناعة مواد الجريمة وتنفيذها حول العالم.

ولفت د.العيسى النظر إلى أن التطرف الإرهابي عمد لإنشاء مواقع هزيلة للرد بنفسه على نظرياته الفكرية لضمان عدم إغلاقها ولإعطاء تصور وهمي للسذج بهيمنة أطروحته على مخالفيه، وغالب من يقع في هذه المصيدة هم صغار الشباب حول العالم ممن تحركهم العاطفة الدينية المجردة على خلفية بعض الأحداث السياسية، والتي أذكتها بشدة الشعارات الطائفية في مواجهة الإرهاب، مؤكداً أن تلك الشعارات خدمت الإرهاب كما لم تخدمه أي سياقات أخرى..

> • من ارتضى جنسية دولة معينة أو الإقامة فيها فهو مقر بخضوعه لدستورها وقوانينها وأدوات حسم قراراتها

كما تناولت تلك اللقاءات مع الجالية الإسلامية ومراجعها العلمية الحديث عن الخصائص الدينية التي تسعى بعض الحكومات الغربية عن طريق جهاتها التنفيذية المسؤولة عن ملف الاندماج منع بعض مظاهر تلك الخصوصية، وما صاحب ذلك من جدل كبير ومواقف متصلبة ومواجهات حادة، وتمثل قضية الحجاب مثالها الجدلي الأبرز وربما حالياً الأوحد.

وقد أوضح الدكتور العيسى أن المسلم تحكمه في ذلك قواعد شرعية واضحة تسري على هذه الحالات وغيرها، وأنه في موضوع الحجاب تحديداً فإن في البلدان ذات التحفظ عليه أو على بعض مظاهره في بعض الأماكن أو على صيغة الحجاب ذاته ـ مثلاً النقاب ـ يوجد فيها أدوات دستورية وقانونية متاحة للمطالبة بالسماح بهذه الخصوصية الإسلامية، ومن ذلك اللجوء للقضاء للطعن على قرار المنع، وحشد الجهود السلمية لإيصال الصوت المطالِب باحترام الخصوصية الإسلامية.

وأضاف الشيخ العيسى بأن قواعد الشريعة المَبنية على الحِكَم وتحقيق المصالح ودرء المفاسد تأخذ بالمسلم نحو الحكمة والتصرف الرشيد، بعيداً عن العاطفة الدينية المجردة التي ضل بسببها كثير من الناس، بل قادت بعض الشباب إلى تطرف تحول إلى مناجزات تُصنف ضمن الأفعال الضارة وأحياناً

الإجرامية والإرهابية.

وأشار معاليه إلى أن من أشد المخاطر الانزلاق نحو العاطفة الدينية المجردة بعيداً عن البصيرة والوعي فيرتد الأمر سلباً على الشخص ذاته، وعلى صورة دينه لدى الآخرين فكثير منهم ـ غير المسلمين ـ يتشكل التصور عنده من مثل هذه التصرفات الفردية، ونتج عن ذلك خسائر كبيرة حَمَلت بعضهم على إيجاد قوانين ذات تدابير وقائية من جهة وتزيد في موضوع الاندماج حتى وصل في بعض الأحيان لمفهوم الانصهار من جهة أخرى.

وتابع الشيخ العيسى بأنه: يجب أن نعلم جميعاً أن هذا كله لم يكن موجوداً من سنين طويلة وبحسب نصوصه المنشورة لم يكن مقصوداً به الدين الإسلامي، بل يشمل الرموز الدينية كافة فيُمنع مثلاً الرمز الديني كالصليب من الدخول به في المدارس الحكومية، فجاءت حكومات مدعومة بتوجهات حزبية تعبر فيما تقتضيه دساتيرهم عن رأي الأغلبية الوطنية في شأن يتعلق ببلدانهم فتوجهت ـ لأي سبب كانت خلفية تلك التوجهات ـ نحو تلك الوجهة الإقصائية بذرائع عدة، منها ضرورة الاندماج الوطني في الدولة العلمانية، حيث انتهت الفلسفات والتحليلات الجديدة لبعض البلدان الغربية إلى أن تؤثر تلك الرموز على المفاهيم الوطنية في الشأن العام لكن ما يخص صاحب الدين المعين في ذاته دون أن يعبر عنه في مشهد عام فهذا لا تتدخل فيه، وهذا أعتقد أنه معلوم لكم جميعاً، وأنتم أدرى مني به بكل تأكيد.

وزاد أمين رابطة العالم الإسلامي أنه بالمنطق الحكيم فإنه ليس في إمكان أي أحد أن يُلزم تلك البلدان بما يخالف ما انتهت إليه أغلبيتها وفصل فيه قضاؤها، لكن للجالية المسلمة كما قلنا سابقاً بحسب الأدوات الدستورية والقانونية المتاحة أن تعبر عن رأيها ومطالباتها كما قلنا وأن تطلب مساندة فعاليات دينية أخرى لها مثلما حصل بالفعل مع العديد من المؤسسات الدينية المسيحية واليهودية وهذا على وجه الخصوص يوجب علينا التفريق بين أتباع الدين المجرد، وأتباع الدين المُسَيَّس، مثلما نفرق بين التعايش والتعاون والبر والإقساط الذي أرشدنا الله إليه في سورة الممتحنة، وبين العقيدة ذاتها فهذا شيء وذاك شيء فلكل وجهة هو موليِّها، والاختلاف العقدي سنة كونية وعلينا البلاغ ولا يلزمنا الإقناع والبلاغ تمارسه الأديان كافة لكن يبقى أن نعلم أن من أهم أساليب البلاغ السلوك والتعامل الأخلاقي العالي والإيضاح والبيان الحسن وهو الحكمة التي أرشدنا الله لسلوك طريقها مع تفهم الاختلاف وأنه سنة كونية، وقد قال الله تعالى عن نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم «وإنك لعلى خلق عظيم» وقال تعالى: «فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لا نفضوا من حولك».

وأكد معالي الشيخ العيسى أنه: على هامش هذا الموضوع، وفي هذه الجزئية تحديداً وهي مهمة، لعلي أقول لكم: إن التحفظ في هذا الأمر أقصد العلاقات الدينية مرتبط بما بدر من أشخاص أو مؤسسات الدين الرسمية أو الأهلية أي دين كان فالحكم يرتبط بذلك ولا يُعمم، وكيف يُعمم وقد قال الله تعالى في سورة الممتحنة التي أشرنا إليها «لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين».

وتحدث الأمين العام عن موضوع الإسلاموفوبيا وكيف نعالجه قائلاً: هذا شاهدٌ على أن هناك توجساً وإقصاءً من نوع آخر، لكن إذا كان على أصحابه ملامة فإن له أسباباً عدة بعضها ناشئ عن بعض المسلمين أنفسهم، فتصحيح خطابهم ومراجعة سلوكهم جزء مهم في المعالجة، ولو دفعنا الأمر كله هذا وغيره مما يطرح في تلكم السياقات، لو دفعناه بالتي هي أحسن لوجدنا موعود الله في ذلك، حيث أرشدنا سبحانه بأن ندفع بالتي هي أحسن، والنتيجة كما قال سبحانه: «فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم»، ولا شك أن ظاهرة الإسلاموفوبيا أفرزت لدى البعض عداوة مفتعلة نتجت غالباً عن مصادر آحادية أو تصورات أو تصرفات معزولة، وأقصد بالمصادر المصادر الجذرية، وعندما أقول ذلك أقصد أن البعض زايد عليها لأي هدف كان وهم قلة كما أنهم في تنوع وتحول كحالة المد والجزر، لكن كما قلت لكم الحكمة والتعامل الأخلاقي الراقي مع الجميع واحترام الدساتير والقوانين، والحذر كل الحذر من أي تشدد، بل وعليكم مراقبة الآخرين في هذا الصدد والتبليغ عن أي حالة سلبية ولو بالاشتباه من شأنها أن تعود بنتائج لا تسر، فسمعة ديننا والترسيخ الحقيقي والفاعل والصادق

• جميع الأطروحات الاستشراقية غير المنصفة تلاشت في أرشيف النسيان وبقي الإنصاف ماثلاً يحكي سنة الخالق في هيمنة حقيقته

لتحقيقه لأسمى قيم التعايش والسلم والوئام ومحاربته للتطرف لا يعدلها شيء، وهي رسالتنا ومسؤوليتنا جميعاً في أي مكان، وكل ما سبق أن أوضحته لكم لا بد أن يجري وفق القوانين المتبعة لكل دولة.

كما أوضح الأمين في حديثه مع الجالية الإسلامية بأن مصطلح الأقليات يَرد في أداة الحسم الدستورية لقرار الدولة الوطنية، لا لوصف المكون الوطني بتعدد جالياته، وأن أداة الفصل الدستورية تحسم مطالب الجاليات كافة في خصوصياتها ولا يجوز التعبير عن معارضة أداتها إلا بالأساليب القانونية.

وقال: من ارتضى جنسية دولة معينة أو الإقامة فيها فهو مقر بخضوعه لدستورها وقوانينها وأدوات حسم قراراتها، موضحاً أن الالتزام بدساتير الدول وقوانينها لا يعني بالضرورة القناعة بها فالحمل عليها حالة ضرورة مادامت الإقامة كذلك، ويجب أن تحسب الجالية الإسلامية على المكون الوطني الفاعل «إيجاباً» وأن تؤدي ما ائتمنت عليه بصدق ومهنية.

وأشار معاليه إلى أن من كان سبباً في تكوين الصورة الذهنية السلبية عن الإسلام في السلوك أو العمل فقد أجرم في حق الإسلام قبل غيره، وأننا مطالبون بإيصال الحقيقة جهدنا لا الإقناع بها وبالإيمان بسنة الخالق في الاختلاف والتنوع والتعددية، وأنه لا مجال للعاطفة الدينية في قضايا الحسم الدستوري، فلا أثر لها بمجردها في الإطار الإسلامي ومن باب أولى غيره.

واعتبر معاليه أن الإسلام اليوم أحوج ما يكون إلى إيضاح حقيقته وأقوى الأساليب في ذلك تتمثل في السلوك الأسلم والفهم الأمثل للإسلام وتوعية متصدري المنصات المحسوبة على العلم والدعوة هذا من جهة، وفي مواجهة رسائل التطرف وممارساته بما يكشف زيفها من جهةٍ أخرى، حيث لا بد أن ندرك أهمية هذا الأمر ونعيه حقيقة.

كما أكد معاليه على وجوب أن نعرف جميعاً بأن النص الإسلامي لا يلزم بحسب المنطق المستقر عليه إلا الدولة التي التزمت بهَديه، ثم هي أيضاً لا تُلزم إلا بتفسيرها للنص، ولا تُحْمل على تفسير غيرها.. لكن قد يَرد أن تُلزم دولة ما بهذا الهدي الشرعي ليس على اعتباره نصاً إسلامياً عندما لا تكون دولة إسلامية بل على أساس كون الأدوات الدستورية والقانونية حسمت موضوعه في أي قضية كانت حسمته لصالح تطبيقه.

كما أشار معالي الأمين في لقاء المستشرقين والمفكرين بعد زيارته للمكتبة الوطنية في فيينا التي تحتوي على أكثر من سبعة ملايين ونصف المليون وثيقة، وكتاب كما جاء في معلوماتها قائلاً: عناية المكتبة الوطنية بفيينا بالمخطوطات والبوردات الإسلامية شاهد على مستوى الوعي بنفائس التاريخ، وإن بعض المستشرقين أسهم في نشر الإرث الإسلامي وأنصف مضامينه كما نوه أيضاً بحضارته في العديد من الكتب والمقالات والمداخلات والمحاضرات، وإن جميع الأطروحات الاستشراقية غير المنصفة تلاشت في أرشيف النسيان وبقي الإنصاف ماثلاً للجميع يحكي سنة الخالق في هيمنة حقيقته، مؤكداً معاليه للجميع: «إننا لا نخشى الاستشراق ولا نعاديه لذاته، حيث نثق في إرثنا وهيمنة حقيقته وندرك ثانية إنصاف بعض المستشرقين حيث قادهم لتسجيل الحقيقة».

من جهة أخرى التقى معالي الأمين رئيس وأعضاء المفوضية الأمريكية للحريات الدينية الدولية برئاسة القس توماس جي ريس، وعضوية كل من الدكتور جيمز جي زغبي نائب رئيس المفوضية والسيدة كريستينا آريغا دوب وتشولز عضوة المفوضية المديرة التنفيذية لصندوق بيكيت للحرية الدينية، والدكتور جون رسكي عضو المفوضية أحد شركاء شركة جي آر بي للخدمات الاستشارية، وكليفورد دي ماي عضو المفوضية ورئيس مؤسسة الدفاع عن الديمقراطيات ـ مؤسسة سياسية مستقلة ـ ودوايت بشير مدير السياسات والأبحاث في المفوضية، فيما التقى سفير الاتحاد الأوروبي في بعض دول الشرق الأوسط.

وجرى خلال اللقاءات تناول العديد من الموضوعات ذات الاهتمام المشترك، والتأكيد على قيم الوسطية والاعتدال لتعزيز التعايش والسلم والوئام بين أتباع الثقافات والأديان، ونبذ الكراهية والعنف والحيلولة بمنطق العقل والحكمة دون الصدام الثقافي والحضاري، وإحلال منهج الحوار بدل الصراع الأيديولوجي.

وأوضح د.العيسى أن رابطة العالم الإسلامي تعنى بإيضاح حقيقة الإسلام ومحاربة الأفكار المتطرفة التي انتحلت زوراً هوية الإسلام لتنسب باطلها له، وواجب الرابطة كشف ذلك، من خلال تواجدها عبر وسائل الاتصال والإعلام، ومن خلال المؤتمرات والندوات والدورات التدريبية والمحاضرات واللقاءات البينية بين منسوبي الرابطة والعديد من الجهات والمؤسسات ذات العلاقة، وإصدار الكتب والمنشورات ومن بينها مطبوعات الرابطة والموقع الإلكتروني لها ، كل ذلك بلغات عدة، وغير ذلك من الوسائل بحسب الحاجة والموضوع، كما أن الرابطة باعتبارها منظمة عالمية شعبية مستقلة سوف تُجَسِّر علاقتها مع العديد من الجهات الحكومية والأهلية حول العالم.

خلال استقباله أمين عام الرابطة وكبار مسؤوليها

سماحة المفتي يشيد بجهود رابطة العالم الإسلامي وأمينها العام في الذبِّ عن الدين

الرياض:

استقبل سماحة مفتي عام المملكة رئيس هيئة كبار العلماء رئيس اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ في مكتبه معالي أمين عام رابطة العالم الإسلامي الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى يرافقه خمسون مسؤولاً من كبار مسؤولي الرابطة، بحضور عدد من أصحاب المعالي أعضاء هيئة كبار العلماء ومعالي أمين عام هيئة كبار العلماء الشيخ الدكتور فهد بن سعد الماجد.

وأشاد سماحة المفتي بجهود رابطة العالم الإسلامي وأمينها العام في الذبِّ عن الدين الإسلامي، ونشر فضائله، داعياً سماحته الرابطة لتكثيف جهودها؛ لبيان محاسن الدين الإسلامي في العالم أجمع.

كما أكد سماحة المفتي على رابطة العالم الإسلامي إجراء المزيد من الحوارات مع كافة ناشدي الحق والمعرفة، التي تبين حقيقة الإسلام ونفعه للبشرية، مشيراً إلى أن الظروف الراهنة تؤكد الحاجة لبذل المزيد.

من جانبه شكر معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الشيخ د. محمد بن عبدالكريم العيسى لسماحة المفتي هذا الاجتماع.

وتوجيهات سماحته الكريمة.

وقدم معالي الشيخ العيسى شرحاً لسماحة المفتي عن الجهود التي تبذلها الرابطة وفق ما ينص عليه نظامها الأساس، وما توليه من اهتمام في هذه المرحلة وما تتطلبه من تفعيل الأدوات الإعلامية التي تخدم وظيفتها؛ باعتبار الإعلام في طليعة وسائل الرابطة للتواصل، موضحاً معاليه اشتغال الرابطة على رصد الرسائل المسيئة للإسلام، وتصنيفها والتعامل معها على ضوء تحليلاتها.

أمين رابطة العالم الإسلامي يستقبل السفير الألماني ووفداً ألمانياً رفيع المستوى ورئيس مندوبية الاتحاد الأوروبي

الرياض:

استقبل معالي أمين عام رابطة العالم الإسلامي عضو هيئة كبار العلماء الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى في مكتبه في الرياض رئيس مندوبية الاتحاد الأوروبي لدى المملكة السفير ميكيلي شرفوني دروسو والوفد المرافق له. كما استقبل معاليه سفير جمهورية ألمانيا الاتحادية لدى المملكة ديتر هالر. كما استقبل وفداً ألمانياً رفيع المستوى، يمثل العديد من الجهات الرسمية والبحثية والفكرية والإعلامية في ألمانيا.

وجرى خلال اللقاءات بحث أوجه التعاون بين الرابطة والجهات الأوروبية ذات العلاقة، وآفاق التعاون في مختلف المجالات بما يخدم الأهداف والرسائل النبيلة للرابطة وفق رؤيتها وقيمها وأهدافها الوسطية المعتدلة.

كما تناولت اللقاءات عدداً من الموضوعات ذات الاهتمام المشترك، وسبل تعزيز العلاقات بين الرابطة والفعاليات الأوروبية الرسمية والشعبية، لتعزيز قيم التسامح والوسطية والإسهام في دعم الجهود المبذولة لمواجهة التطرف والإرهاب.

واستعرض معالي الأمين العام للرابطة مع الجميع رؤية ورسالة وقيم وأهداف رابطة العالم الإسلامي، مؤكداً أن الرابطة ستواصل جهودها في إرساء قيم السلام والاعتدال وترسيخ الإخاء الإنساني.

إعداد: أسامة بامعلم

الحجاب لمدة شهر تعاطفا مع المسلمات

(إينا) ـ قررت مجموعة من الكنديات ارتداء الحجاب لمدة شهر كامل، تعاطفا مع النساء المسلمات، وتنديدا بالإسلاموفوبيا (العداء للإسلام).

ولقيت فعاليات «اليوم العالمي للحجاب»، الذي يتم تنظيمه في كل أنحاء كندا منذ ٢٠١٤، اهتماما مميزا في مدينة «فورت ماكموراي» بولاية «ألبيرتا».

وقال منظم الفعالية في «فورت ماكوراي»، «كيران مالك خان»، إن ٧ سيدات كنديات جئن إليهم، وطلبن منهم إذنا من أجل ارتدائهن الحجاب.

وأضاف: «أطلقنا على الفعالية اسم أخوة الحجاب، وقد شعرنا بسعادة كبيرة حينما طلبوا منا إذنا لارتداء الحجاب».

وبحسب «الأناضول» أوضح «مالك خان» أنهم قدموا إلى السيدات الكنديات معلومات حول الأحكام، التي يجب عليهن الالتزام بها، كون الحجاب يعتبر رمزا دينيا، مضيفا: إنهن وعدن بالالتزام بجميع الأحكام.

وقالت «فانيسا ماكماهون»، إحدى السيدات اللاتي سيرتدين الحجاب، في تصريحات صحفية: إن «الأمر الذي دفعني إلى ارتداء الحجاب هو الهجوم الذي استهدف مسجدا (داخل المركز الثقافي الإسلامي) في (مدينة) كيبك (الشهر الماضي)، لقد قتل ٦ مسلمين في كندا أثناء تأدية عبادتهم، لا يمكن القبول بوقوع مثل هذه الأحداث لا في بلادنا ولا في بلاد أخرى، الكل لديه الحق بتطبيق دينه في جو من السلام».

استنكار دولي واسع لـ «تشريع» الاستيطان

القدس المحتلة - الجزيرة نت

توالت ردود الفعل الدولية والعربية المنددة بإقرار الكنيست الإسرائيلي قانونا يسمح بسلب أراضي الفلسطينيين الخاصة والتوسع الاستيطاني عليها. وبينما اعتبر الأمين العام للأمم المتحدة أن القانون يشكل انتهاكا للقانون الدولي، حث الاتحاد الأوروبي تل أبيب على عدم تنفيذ القانون واعتبر أنه «يتجاوز سقفا جديدا خطيرا».

وأعرب الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريس في بيان له عن أسفه الشديد لإقرار قانون الاستيطان الذي قال إنه «ستكون له تداعيات قانونية كبيرة على إسرائيل»، مشددا على ضرورة تجنب اتخاذ «إجراءات من شأنها تعطيل حل الدولتين».

وأشار منسق الأمم المتحدة الخاص لعملية السلام نيكولاي ملادينوف إلى أن القانون -الذي اعتبره « سابقة خطيرة تتجاوز خطا أحمر عريضا » قد يعرض إسرائيل لملاحقات أمام المحكمة الجنائية الدولية، داعيا إلى تنديد دولي شديد، لكنه امتنع عن انتقاد إدارة الرئيس الأميركي دونالد ترمب التي نأت بنفسها عن ملف الاستيطان الإسرائيلي.

وفي باريس دعا الرئيس الفرنسي الحكومة الإسرائيلية لإلغاء القانون الذي يضفي الصفة القانونية على الاستيطان في الأراضي المحتلة، وقال فرانسوا هولاند في مؤتمر صحفي مشترك مع الرئيس الفلسطيني محمود عباس إن القانون الإسرائيلي «سيفتح الباب أمام ضم أراض محتلة».

مساجد هولندا تغلق أبوابها وقت الصلاة

أطلقت خمسة مساجد في هولندا مبادرة بإغلاق أبوابها وقت الصلاة بعد مقتل ستة أشخاص في هجوم على مسجد في مقاطعة كيبيك الكندية، معتبرة أن هذا الهجوم يمكن أن يتكرر في أي لحظة وفي أي مكان أمام انتشار خطاب الكراهية والتحريض ضد المسلمين في الغرب.

وحملت المبادرة في بيان السلطات الأمنية والسياسية بهولندا المسؤولية عما يمكن أن يحدث للمساجد وزوارها في حال تواصل هذا الخطاب.

وقال الناطق الرسمي باسم المبادرة خليل بلال إن الفكرة انطلقت بأربعة مساجد، ولكن عدد المنضمين إليها يتزايد بشكل ملحوظ منذ إعلانها، موضحا أن المساجد صاحبة المبادرة هي المسجد الأزرق بأمستردام، ومسجد السُّنة في لاهاي، ومسجد السلام في روتردام، ومسجد عمر الفاروق في أوتريخت، ومسجد الإمام مالك في مدينة ليدن.

وشدد بلال على أن الأمر خطير جدا ويستوجب أخذ الاحتياطات اللازمة لحماية رواد المساجد، قائلا «إنهم طلبوا نصب كاميرات مراقبة وفرض حراسة إضافية حول المساجد».

وأشار إلى أن الاتصالات لم تنقطع من المصلين وأولياء الأطفال الذين يدرسون في المساجد بعد هجوم كيبيك للسؤال عن الوضع الأمني واحتمال تكرار الحادث في هولندا، وقال إن الجهات الأمنية المختصة طمأنتهم وأبلغتهم بعدم وجود شيء مثير للقلق في هولندا.

من جهته قال الإمام ياسين الفورقاني -وهو أحد رعاة المبادرة- إنه يتعين على المصلين الحذر من مثل هذه الهجمات واتخاذ إجراءات احتياطية، وقال في حديث إن مسؤولي المساجد على اتصال وثيق بالمنسق الوطني الهولندي للأمن ومكافحة الإرهاب.

وأشار الفورقاني إلى تنامي الخطاب اليميني التحريضي ضد المسلمين في الآونة الأخيرة، حيث عُقدت أخيراً مائدة حوارية في قاعة «دي بالي» بالعاصمة الهولندية أمستردام وكان الحديث في غالبيته يدور حول الطرق المثلى لإخراج المسلمين والتخلص منهم.

وحول إمكانية اتخاذ المساجد إجراءات أخرى، أوضح السيد بوزيت نائب رئيس مؤسسة مسجد الإمام مالك في ليدن أن أي إجراءات جديدة يجب أن تتخذ وفق توجهات الجهات الأمنية الهولندية والبلدية ومركز مقاومة الإرهاب في هولندا.

وقال بوزيت في تصريحات صحفية إنه من السذاجة الحديث أن هولندا في منأى عن مثل هذه الحوادث، معتبرا أن توفير حماية كاملة للمساجد أكبر بكثير من قدرات المسؤولين عنها.

وكانت منظمات ومراكز مختصة قد حثت المسلمين على تقديم بلاغات للشرطة والنيابة عن كل حركة مريبة أو رد فعل يوحي بعنصرية أو تفرقة أو كراهية.

يشار إلى أن أحد مساجد مدينة «أنسخديه» شرق هولندا تعرض في فبراير/شباط الماضي لهجوم بقنابل المولوتوف نفذته مجموعة من الشباب المحسوبين على اليمين المتطرف، مما أدى إلى إصابة عدد من زوار المسجد.

وقضت المحكمة في أكتوبر/تشرين الأول الماضي على خمسة

مرصد الإسلاموفوبيا يحذر من خطر تفشى العنصرية بالغرب

إينا:

أكد مرصد الإسلاموفوبيا التابع لدار الإفتاء المصرية أن خطر تفشي العنصرية والطائفية في الغرب لا يتوقف عند المسلمين فحسب، بل يمتد ليشكل تهديدًا للحضارة الغربية بشكل عام، وذلك في أعقاب تأكيد سلطات التحقيق الأمريكية أن حريق المركز الإسلامي في تكساس كان متعمدًا.

وأعلن المكتب الأمريكي للكحول والتبغ والأسلحة النارية والمتفجرات، أن الحريق الذي التهم مسجدًا في تكساس في يناير، وقع عمدًا، وتقرر صرف مكافأة تصل إلى ٣٠ ألف دولار لمن يدلي بمعلومات تقود إلى المتورطين في إشعال النيران في المركز.

وشدد المرصد على أن هذا الحريق المتعمد للمركز الإسلامي يُعد تطورًا خطيرًا في الأعمال العدائية والعنصرية ضد المسلمين في الولايات المتحدة الأمريكية، وجرس إنذار لا بد من الالتفات له قبل أن تتسبب هذا الأعمال العنصرية من المتطرفين في انتشار أعمال العنف وحدوث صدامات طائفية.

وأضاف المرصد أن الاعتداءات العنصرية التي تطال المسلمين تطورت من الاعتداءات اللفظية والسب إلى ارتكاب الأعمال الإرهابية ضد الأشخاص والمؤسسات ودور العبادة، وهو تطور خطير ينذر باحتمال انتشار تلك الأعمال وتطورها النوعي، ما يعني تعريض المجتمع الأمريكي بشكل خاص والمجتمعات الغربية بشكل عام إلى اهتزازات عنيفة وتصدعات في جدار التماسك المجتمعي المتنوع.

وأكد المرصد أن هذه الأعمال العنصرية والإرهابية ضد المسلمين تمثل التهديد الملح للغرب، بل إنها تمثل تهديدًا يفوق ما تمثله الجماعات الإرهابية كداعش والقاعدة وغيرها، كونها تضرب عمق المجتمعات الغربية وتدفعها نحو التحزب والعنصرية وتقضي على مبدأ المواطنة الذي مثل الميزة الأهم والمنتج الأبرز في الحضارة الغربية الحديثة.

ودعا المرصد الدول الغربية والمؤسسات الدولية والإقليمية والمنظمات المحلية والمجتمع المدني ووسائل الإعلام الكبرى إلى المسارعة في إيجاد السبل اللازمة لوقف نزيف العنصرية ضد المسلمين، ومنع الدعاية المتطرفة التي تروج لها جماعات اليمين الديني المتطرف في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا، والتصدي للصورة المغلوطة والمشوهة التي تروج للمسلمين في الإعلام الغربي.

مدينة أمريكية تحسم «التمييز» وتسمح ببناء مسجد

ميشيغان (إينا)

وافق مجلس مدينة ستيرلنغ هايتس في شرق ولاية ميشيغان الأمريكية على اقتراح معطّل لبناء مسجد، في تحرك لتسوية دعاوى قضائية رفعها سكان مسلمون ووزارة العدل الأمريكية تتهم المدينة بالتمييز.

جاء تصويت المجلس بالإجماع في أعقاب اجتماع صاخب علت فيه أصوات المعارضين.

ونقلت رويترز عن رئيس البلدية مايكتيلور قوله: إن أحد المعارضين لبناء المسجد اتهم أعضاء المجلس بالعمل مع «إرهابيين».

وسعى معارضو بناء المسجد في ميشيغان ومناطق أخرى للحصول على مساعدة وزير العدل جيف سيشنز والرئيس دونالد ترامب، لكن وزارة العدل أصدرت بيانا، تشيد فيه بالموافقة على بناء المسجد.

وقال توم ويلر القائم بأعمال مساعد وزير العدل والذي عينه ترامب للإشراف على إدارة الحقوق المدنية: «القانون الاتحادي يحمي حق أصحاب العقائد في بناء دور عبادة من دون تمييز أو أعباء غير ضرورية على ممارساتهم الدينية.»

اليوم المفتوح بالمركز الإسلامي بلندن يستقبل غير المسلمين

استقبل المركز الثقافي الإسلامي في لندن ، أكثر من ٥٥٠ شخصا من غير المسلمين، تزامنا مع إعلان المؤسسات الإسلامية بالتنسيق مع مجلس مسلمي بريطانيا، في الخامس من فبراير٢٠١٧ م ، يوما مفتوحا للمساجد والمراكز الإسلامية في بريطانيا.

وقد فتحت أكثر من ١٥٠ مؤسسة ومسجدا في بريطانيا أبوابها أمام المهتمين بالتواصل من السياح والمواطنين البريطانيين، و الجيران والكنائس القريبة، لتفقد المساجد والاطلاع عليها.

وأعد المركز الثقافي الإسلامي برنامجا مصاحبا للزيارة، اشتمل على زيارة المعرض الإسلامي الدائم في المركز، الذي يعرف بالإسلام وتاريخه ونبيه الكريم وكتابه العظيم ومساهمة المسلمين في الحضارة الإنسانية، كما اشتمل على جلسة ودية مع الزوار للتعارف وتناول المرطبات والحصول على كتب إسلامية ودعوية مجانا، وبدء حوار يقوم على التواصل والدعوة، بالحكمة والموعظة الحسنة.

وقال المدير العام للمركز الثقافي الإسلامي في لندن الدكتور أحمد الدبيان، إن الهدف من هذا اليوم هو التعريف بصورة مباشرة بالإسلام والاطلاع من قرب على المؤسسات الإسلامية ودورها في خدمة المجتمع، والتعريف برسالة الإسلام السمحة.

وأكد الدبيان أن أعدادا كبيرة من غير المسلمين تجاوبوا مع فعالية اليوم المفتوح، وأبدوا سعادتهم بالزيارة، وتركوا انطباعات وتعبيرات طيبة في سجل زيارات المركز.

وتمنى الدبيان أن يسهم هذا اليوم في مقاومة مشاعر الإسلاموفوبيا، وقال إن المسلمين يريدون من خلال هذا اليوم المفتوح أن يوجهوا دعوة سلام ومحبة للجميع، والتذكير بأنهم دعاة سلام وأن الإسلام دين بناء لا هدم، خصوصا في هذه الظروف الحالية.

أجهزة إلكترونية خاصة لذوي الاحتياجات وضعف البصر

جهزت مكتبة المسجد الحرام بمكة المكرمة عددا من الأجهزة الإلكترونية لذوي الاحتياجات الخاصة التي تساعدهم على الاستفادة من محتويات المكتبة بيسر وسهولة.

وأوضحت المكتبة أنها وفرت طابعة «برايل» التي تطبع النصوص على ورق خاص، وكاميرا قارئة تقوم بقراءة الصور والوثائق وتحويلها إلى ملف «بي دي أف» (Pdf)، بالإضافة إلى المكبر المكتبي الخاص بضعاف البصر الذي يقوم بتكبير النصوص والوثائق والصور.

وأشار إلى أن هذه الخدمات تأتي في إطار اهتمام الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي بهذه الفئات وتوفير الإمكانيات التي تساعد على دمجهم في المجتمع وجعلهم قادرين على خدمة البلاد.

وكانت إدارة الخدمات الاجتماعية بالرئاسة العامة لشؤون المسجد النبوي أعلنت الشهر الماضي أنها تعمل على إصدار دليل إرشادي للمسجد النبوي بطريقة «برايل» الخاصة بالمكفوفين، بالتعاون والتنسيق مع عدد من المتخصصين في طباعة الكتابة والرسومات البارزة بطريقة برايل.

فهد الحربي مدير مكتب الرابطة بإندونيسيا :

الدعوة في إندونيسيا بحاجة إلى توحيد الجهود و إلى الدعم المادي والمعنوي

إعداد : توفيق محمد نصر الله

ضيفنا لهذا العدد هو الأستاذ فهد محمد سند الحربي مدير مكتب الرابطة في إندونيسيا. ناقشنا معه أحوال المسلمين هناك والتحديات التي تواجههم، إضافة إلى واقع الدعوة والجهود الدعوية، ولعل من أخطر التحديات كما يتبين في حوارنا، النشاط التنصيري للمنظمات الأوروبية والأمريكية، وكذلك التشيع الذي صار له وجود ملموس في بعض المناطق الإندونيسية.

التشيع والتنصير أكبر الأخطار التي تواجه المسلمين في إندونيسيا

أحوال المسلمين والتحديات التي تواجههم

• بداية نرجو التكرم بإعطاء قراء مجلة الرابطة نبذة عن أحوال المسلمين في إندونيسيا ؟

إندونيسيا دولة في جنوب شرق آسيا، وتتكون من أكثر من ١٣،٠٠٠ جزيرة، ويبلغ عدد سكانها حوالي ٢٥٠ مليوناً وهي الدولة الرابعة من حيث عدد السكان في العالم بعد كل من الصين والهند والولايات المتحدة الأمريكية، وتتعدد الشعوب والعرقيات واللغات في جمهورية إندونيسيا، حيث يوجد في إندونيسيا ٧٢٠ لغة، واللغة الرسمية هي اللغة الإندونيسية، وهي إحدى لغات الملايو وتدرس بشكل واسع ويتحدث بها كل الإندونيسيين، وهي لغة الأعمال ووسائل الإعلام والتعليم والتجارة والسياسة . وتتعدد كذلك الأديان . والدستور الإندونيسي يقر حرية الأديان وتعترف الحكومة بخمسة أديان رئيسية، وهي :

الإسلام وتبلغ نسبته ٨٦٪ من مجموع السكان
والمسيحية ونسبتها ٨٪ من مجموع السكان
والهندوسية وتمثل ٣٪ من مجموع السكان
والبوذية ونسبتها ٢٪ من مجموع السكان
والكونفوشيوسية ١٪ من مجموع السكان

ويؤدي المسلمون ولله الحمد في حرية تامة شعائرهم الإسلامية، والشعب الإندونيسي المسلم محب للدين وتعاليمه ويحرص على حضور المناسبات الدينية الإسلامية ومجالس العلم والذكر، حيث تكثر مجالس التعليم وخاصة في القرى والمناطق الريفية الإندونيسية كما يكثر بناء المساجد والمعاهد الدراسية، سواء كانت بجهود ذاتية من الأهالي أو من المنظمات الإسلامية الخارجية ، ويحرص المسلمون في إندونيسيا على تعليم أبنائهم في المعاهد الإسلامية ويدفعون رسوماً دراسية لدخول أبنائهم في تلك المعاهد .

• ما أبرز المشكلات التي تواجه المسلمين في إندونيسيا وكيف يمكن التغلب عليها ؟

تتلخص المشكلات التي يواجهها المجتمع الإندونيسي في الآتي :

•الفقر والجهل وحركات التنصير والتشيع

يعتبر الفقر والجهل بأمور الدين من أهم المشكلات التي تواجه المسلمين في إندونيسيا مما جعلهم عرضة لكثير من المشكلات التي استغلتها المنظمات المشبوهة، سواء التي تدعو وتعمل على تنصير الشعب الإندونيسي أو المنظمات التي تدعي أنها إسلامية فتستغل جهلهم بالدين وتحاول أن تدخل عليهم طرقا ومذاهب غير التي عليها جمهور أهل السنة والجماعة . وتعمل المنظمات التنصيرية بكل قوة في إندونيسيا وخاصة في المناطق القروية والمحافظات والأقاليم البعيدة عن المدن الرئيسية والكبيرة، ولكن وبفضل الله سبحانه وتعالى فإنهم لا ينجحون في تنصير كثير من

المسلمين الإندونيسيين على الرغم من الإمكانيات الكبيرة التي لديهم، وأغلب عملهم الآن في المناطق التي لا يدين أهلها بأي دين في شرق إندونيسيا، ويعتبر التشيع أخطر ما يواجه المسلمين الآن في إندونيسيا، حيث إن الشيعة ومنظماتهم يعملون بصورة مخيفة وسط المجتمعات الإندونيسية وتكاد تكون نشاطاتهم وصلت لجميع جوانب الحياة في المجتمع الإندونيسي، فمن الناحية التعليمية قاموا بفتح العشرات من المدارس والمعاهد الدينية ودعموا المئات من المؤسسات التعليمية وأرسلوا الآلاف من الطلبة الإندونيسيين للدراسة في المدارس الدينية في قم في إيران والحوزات العلمية هناك، وقاموا بإنشاء العشرات من المطابع لطباعة كتبهم الدينية كما قاموا بإنشاء المواقع الإلكترونية والمراكز الثقافية في المدن الكبرى الإندونيسية، ويدعون العشرات من أساتذة الجامعات الإندونيسية لزيارة إيران سنويا، وكل نشاطات الشيعة في إندونيسيا مدعومة ماليا بشكل كبير مما جعل كثيراً من المعاهد والمدارس تتعاون معهم، وللتغلب على هذه المشاكل التي تواجه المجتمع الإندونيسي المسلم يجب زيادة العمل الدعوي في المجتمعات الإندونيسية من خلال افتتاح المراكز والمعاهد الإسلامية ودعمها ماديا خاصة في المناطق التي يكثر فيها تواجد الشيعة ، والتوسع في استيعاب الطلبة الإندونيسيين للدراسة في الجامعات السعودية والعربية لكي يعودوا ليساعدوا مجتمعاتهم في مواجهة أي جهات خارجية تحاول تفريق المجتمع الإندونيسي إلى فرق وطوائف من الفرق الخارجة عن الإسلام .

• واقع الدعوة كيف تراه في الوقت الحاضر وما مدى رضاك عنه ؟ وما أبرز الجهود الدعوية الموجودة على الساحة الإندونيسية الآن وما الذي ينقص الدعوة اليوم برأيك ؟ .

هناك نشاط دعوي كبير في إندونيسيا تقوم به المؤسسات التعليمية الإندونيسية الكبيرة، وكذلك المعاهد الإسلامية والمدارس والمراكز الصغيرة . والشعب الإندونيسي محب للدين ولمعرفة كثير من الأمور الدينية، لذلك تجدهم بجميع فئاتهم سواء كانوا كبارا في السن أو صغارا، نساء أو رجالا يحضرون الدروس والمواعظ التي يقيمها الدعاة في المساجد والمدارس والمناسبات المتعددة . ولكن كل الأنشطة فردية من المؤسسات أو الشخصيات الدينية .

إن الدعاة والمهتمين بأمور نشر الدعوة في إندونيسيا يحتاجون إلى توحيد الجهود والأفكار فيما بينهم حتى تكون رسالتهم أقوى لخدمة المسلمين في إندونيسيا، وكذلك يحتاجون إلى الدعم المالي والمعنوي وإلى استخدام وسائل التواصل الاجتماعي الحديثة للوصول إلى أكبر عدد من المسلمين . وقد استشعرت رابطة العالم الإسلامي أهمية استخدام وسائل الاتصال الحديثة في الدعوة وأقامت دورة تدريبية شارك فيها ١٠٠ داعية وحاضر فيها أساتذة من

الجامعات السعودية، إذ لا يخفى على أحد أن هذا العصر هو عصر الإنترنت، فعن طريقه يمكن الوصول إلى ملايين الأشخاص بعكس إقامة الندوات والمحاضرات التي تقتصر فائدتها على من حضر فقط . لهذا فإني أقترح على رابطة العالم الإسلامي إنشاء موقع إسلامي كبير على الشبكة العنكبوتية يكون بلغات عدة، بحيث يغطي أكبر عدد ممكن من اللغات التي يستخدمها المسلمون في العالم ، بحيث يجدون فيه العلم النافع الصحيح . ولعل معالي الدكتور محمد العيسى الأمين العام يتبنى مثل هذا المشروع وهو ما عرف عنه، حفظه الله، حبه للتجديد والتطوير ومسايرة العصر في الأمور التي يمكن من خلالها خدمة المسلمين . ولعل نشر الدعوة الصحيحة عن طريق موقع إسلامي كبير يكون تحت إدارة الرابطة هو الطريقة المفيدة والسريعة للوصول للمسلمين وتقديم الخدمة لهم .

التنصير والطائفية

• ماذا عن النشاط التنصيري والأساليب والطرق التي يتبعها المنصرون لتنصير أبناء المسلمين ؟

غير صحيح على الإطلاق أن هناك مليوني مسلم ارتدوا عن الإسلام ، لكن هناك برامج تنصيرية كبيرة تقوم بها المنظمات الأوروبية والأمريكية لتنصير الشعوب الإندونيسية لأن إندونيسيا تضم عدة شعوب مختلفة منضوية جميعا تحت الدولة الإندونيسية، وهم يحاولون كثيرا تنصير المسلمين ولكن مشاريعهم تفشل . وقد اتجهوا الآن إلى طريقة خطيرة لمحاولة تنصير المسلمين وهي إنشاء مدارس للأطفال، حيث ينشطون في بناء رياض الأطفال لأنهم وجدوا أن هناك صعوبة في تنصير الكبار والبالغين فاتجهوا نحو الأطفال وهذا خطير جدا .

• من الذي يقف وراء أعمال العنف وتأجيج الفتنة الطائفية بين أبناء المسلمين وبينهم وبين غيرهم من أتباع الديانات الأخرى، كما حدث في جزر الملوك وغيرها ؟

إن إندونيسيا بلد مترامي الأطراف ويضم العديد من الشعوب والعرقيات واللغات والديانات ولكن ولله الحمد يعيشون جميعا في وئام تام فيما بينهم، ولا توجد أي مشكلات بينهم ، ولكن بين الحين والآخر تحدث مشكلات بسيطة بين السكان في أي منطقة أو إقليم في إندونيسيا وسرعان ما تسيطر عليها الحكومة وتطبق القانون والنظام على الجميع بغض النظر عن دياناتهم أو عرقيتهم . والذي حدث في جزيرة الملوك هو خلاف بين مواطنين إندونيسيين على أمور دنيوية تقاتلوا على أثرها وحاول الإعلام تضخيمها على أساس أنه صراع بين المسلمين والمسيحيين ولكن تدخلت الحكومة وأنهت الخلاف.

• ما مدى التعاون والتنسيق بين الجهات الإسلامية

التعاون والتنسيق بين الجهات الإسلامية العاملة في إندونيسيا ما زالا محدودين وفي حدود ضيقة حيث تقوم كل جهة بعمل ما تراه مناسبا

العاملة والموجودة الآن على الساحة في إندونيسيا ؟

هناك تعاون وتنسيق في حدود ضيقة ، حيث تعمل كل مؤسسة إسلامية وفق ما تراه مناسبا للمجتمع الإندونيسي . ويوجد في إندونيسيا مجلس العلماء الإندونيسي الذي يضم جميع المؤسسات الدينية الكبرى، وتحتاج المؤسسات العلمية هناك إلى المزيد من التعاون والتنسيق فيما بينها حتى يعود بالفائدة على المسلمين بشكل أكبر .

جهود الرابطة

• ما أبرز الجهود والأنشطة التي قامت بها رابطة العالم الإسلامي والهيئات التابعة لها لمساعدة المسلمين في إندونيسيا ؟

افتتح مكتب رابطة العالم الإسلامي بإندونيسيا عام ١٩٧٤م، ويعمل منذ ذلك الحين بموجب اتفاقية تعاون بين رابطة العالم الإسلامي وجمهورية إندونيسيا . ويقوم مكتب الرابطة في جاكرتا بتقديم خدمات جليلة للشعب الإندونيسي المسلم، وكذلك المنظمات التابعة للرابطة وفي جميع المجالات التعليمية والاجتماعية والإغاثية وبناء المساجد والمدارس والمعاهد وحفر الآبار والمشاريع الموسمية مثل إفطار صائم في رمضان، وكذلك توزيع لحوم الأضاحي في موسم الحج .

ومن أهم نشاطات المكتب :

أولا : إقامة الندوات والمؤتمرات

شارك المكتب خلال السنوات الماضية بعقد عدد من الندوات والمؤتمرات والدورات الشرعية .

• المؤتمرات

• تنظيم المؤتمر العالمي الثاني للإعلام الإسلامي تحت شعار: تأثير الإعلام الجديد وتقنية الاتصالات على العالم الإسلامي، بالتعاون مع وزارة الشؤون الدينية الإندونيسية، وعقد في جاكرتا بمشاركة ٤٠٠ عالم متخصص في الإعلام من ١٥ دولة، وذلك في عام ١٤٣٣هـ / ٢٠١١م .

• تنظيم المؤتمر العالمي للفتوى تحت شعار الفتوى وضوابطها بالتعاون مع وزارة الشؤون الدينية الإندونيسية، عقد في جاكرتا عام ٢٠١٢م بمشاركة ٣٠٠ عالم من إندونيسيا وخارجها.

• تنظيم المؤتمر العالمي الثالث للإعلام الإسلامي عام ١٤٣٥هـ / ٢٠١٣م، وعقد في جاكرتا بمشاركة ٤٠٠ عالم من إندونيسيا وخارجها بالتعاون مع وزارة الشؤون الدينية الإندونيسية .

• تنظيم مؤتمر وسطية الإسلام ونبذ الطائفية والإرهاب الذي عقد في لومبوك محافظة نوسا تنجارا الغربية عام ٢٠١٦م بالتعاون مع حكومة لومبوك ومجلس العلماء الإندونيسي .

• الندوات

• تنظيم ندوة عن دور العلماء في حل قضايا ومشكلات الأمة عام ١٤٣٥هـ / ٢٠١٣م بالتعاون مع مجلس العلماء

المنصرون اتجهوا إلى بناء مدارس رياض الأطفال لتنصير أبناء المسلمين بعد أن عجزوا عن تنصير الكبار والبالغين وهنا مكمن الخطر

الإندونيسي.

• تنظيم ندوة عن الوسطية في الإسلام عام ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٣م بالتعاون مع المجلس الأعلى الإندونيسي للدعوة الإسلامية .

• تنظيم ندوة علمية عن دور المساجد في مكافحة الإرهاب عام ١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م بالتعاون مع جامعة الأزهر الإندونيسية .

• تنظيم ندوة علمية عن الإسلام الوسطي منهجا وعلما وعملا ودعوة في معهد دار النجاح الإسلامي جاكرتا عام ١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م .

- الدورات الشرعية والعلمية

• تنظيم دورة تدريبية في مهارات الحوار والتواصل الحضاري للدعوة الإسلامية للدعاة .

• تنظيم دورة شرعية في استخدام مواقع التواصل الاجتماعي في الإنترنت لخدمة الدعوة .

ثانيا : المشاريع الموسمية :

يقوم المكتب سنويا بتنفيذ برامج إفطار صائم في رمضان وكذلك توزيع الأضاحي في جميع المناطق بالمحافظات الإندونيسية، يستفيد منها آلاف المسلمين الإندونيسيين .

ثالثا : مشاريع المساجد والآبار

يعتبر مكتب رابطة العالم الإسلامي في جاكرتا ولله الحمد من أكبر المكاتب التي تقوم بتنفيذ مشاريع المساجد والآبار حيث نفذ المكتب المئات من المشاريع التي استفاد منها الأخوة المسلمون .

رابعا : رعاية الأيتام

يقوم المكتب بالإشراف على الأيتام المكفولين من هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية وعددهم ٢،٥٠٠ يتيم ويتيمة في مختلف الأقاليم والمحافظات الإندونيسية . وتتم كفالتهم من خلال إيداعهم في معاهد ومؤسسات إسلامية وتتكفل الهيئة بدفع المبالغ الخاصة بإعاشتهم ودراستهم في تلك المعاهد، كما يقوم المكتب برعاية أسر الأيتام من خلال بناء مساكن حديثة لهم بدلا من التي يسكنونها، حيث إن بعض الأرامل والأيتام يسكنون في بيوت من أخشاب البامبو ويتم نقلهم من تلك البيوت إلى بيوت على الطراز الحديث في نقلة كبيرة في حياتهم .

المؤتمر الإسلامي العالمي للإعلام

• ما أثر المؤتمرات التي أقامتها الرابطة في إندونيسيا وبالأخص المؤتمر الإسلامي العالمي للإعلام ؟

لقد استشعرت رابطة العالم الإسلامي أهمية إندونيسيا

جهود المنظمات التنصيرية فشلت في تنصير كثير من المسلمين على الرغم من إمكانياتها الكبيرة

كون أنها أكبر بلد إسلامي، لذلك أقامت العديد من المؤتمرات والندوات الإسلامية الكبرى وتدعو لها العلماء والمفكرين من جميع أنحاء العالم، ولعل مؤتمر الإعلام الثاني الذي عقدته الرابطة بالتعاون مع الحكومة الإندونيسية عام ٢٠١١م تحت عنوان تأثير العالم الجديد وتقنية الاتصالات على العالم الإسلامي، واحد من هذه المؤتمرات . ونظرا للنجاح الكبير للمؤتمر قررت الرابطة عقد مؤتمر الإعلام الثالث في عام ٢٠١٢م . كما عقدت الرابطة أيضا مؤتمرا عن الفتوى وضوابطها في إندونيسيا، وأخيرا عقدت الرابطة مؤتمر وسطية الإسلام لمكافحة الإرهاب والتطرف والطائفية، وكل هذه المؤتمرات التي تعقدها الرابطة في إندونيسيا هي مؤتمرات عالمية يحضرها علماء من جميع أنحاء العالم يساهمون بفكرهم في تنوير المسلمين وعلاج مشكلاتهم التي يواجهونها في مجتمعاتهم .

مسلم مزيف يدخل مكة حاجاً!

بقلم: التجاني بولعوالي

باحث وأكاديمي مقيم في هولندة

لعل نظرية المفكر إدوارد سعيد حول الاستشراق تنطوي على أفضل مقاربة لعلاقة الغرب بالشرق، فهو يرى أن الاستشراق ينقسم إلى ما هو تخييلي وجامعي واستعماري. وهذه كلها معانٍ يحيل عليها هذا العلم، غير أن ثمة تبادلا أو تضافرا بينها كلها لتحقيق أهداف معينة مسطرة مسبقا من قبل دوائر الاستعمار الغربي، فـ «الاستشراق أسلوب غربي للسيطرة على الشرق، وامتلاك السيادة عليه». (الاستشراق، ص ٣٩). ولم يتم ذلك إلا عبر آليتي القوة الخشنة كالحروب والقتال تارة، والقوة الناعمة كالقرصنة والتجسس على سبيل المثال لا الحصر.

إن القرصنة استهدفت ما هو مادي من تحف ومنقوشات ومخطوطات، ولعل زائر المتاحف الغربية المشهورة، كمتحف اللوفر في باريس ومتحف المترو بوليتان في نيويورك والمتحف الوطني في لندن وغيرها يُفاجأ بحجم المعروضات الشرقية والإسلامية الموجودة فيها. فكيف انتقل هذا التراث الزاخر من الشرق إلى الغرب وحطّ رحاله في العديد من المدن والعواصم الغربية؟ ألا يرتبط ذلك بتاريخ الاستعمار وجشع كثير من المستشرقين والإثنوغرافيين والأركيولوجيين والأنثروبولوجيين والمستكشفين؟ ألا يعني هذا أن شقا كبيرا من تاريخ الاستشراق يمكن أن يوصم بأنه تاريخ القرصنة المدبرة والسرقة الموصوفة؟ فإذا كان الإنسان الإفريقي قد شكل في القرنين الخامس عشر والسادس عشر سلعة مربحة للأوروبي الأبيض في سوق النخاسة وتجارة الرقيق، فهذا ما يسري كذلك على ما تعرض إليه التراث الإسلامي والشرقي من متاجرة وتصدير ومزاد.

ولم تقتصر القرصنة على ما هو مادي وتراثي فحسب، وإنما تجاوزته إلى ما هو فكري ومعنوي، إذ نشطت حركة التجسس المتلفعة بما هو ثقافي وعلمي، فظل علم الاستشراق يشكل الإطار الذي حضن هذه الحركة الجاسوسية التي كانت تخدم المد الاستعماري الأوروبي، فضحى العديد من المستشرقين بالنفس والنفيس من أجل خدمة عروش وحكومات البلدان التي ينحدرون منها. وعندما نتأمل موقع الكثير من المستشرقين الجامعيين ضمن هذه المعادلة الإمبريالية نجد أنهم مجرد خُدّام مطيعين لحكوماتهم، التي أرسلتهم في مهمات استكشافية وتجسسية تحت غطاء ما هو ثقافي وأنثروبولوجي، بل ومنهم من شكل طرفًا من تلك الحكومات، كما هو حال لورنس العرب ولويس ماسينيون وإدوارد هنري مالمر ودي جي هوغارت وسنوك هورخرونيو وغيرهم كثير. وفي مقابل ذلك، تمكنت فئة أخرى من المستشرقين من الاهتداء إلى الدين الإسلامي والدخول فيه عن اقتناع تام، كما هو الشأن بالنسبة إلى هاري فيلبي وافلين كوبولد وجون لويس بوركهارت ومارمادوك وليم بكثول ومحمد أسد وايس وغيرهم. غير أن ثمة من المستشرقين من اتخذ الإسلام أو الثقافة العربية ذريعة للنفوذ إلى أوساط المجتمعات المسلمة، فكانوا بمثابة عملاء مخابرات وعيون تجسس لا غير! كالإنجليزي ريتشارد فرانسيس بيرتن، والفرنسي (الجزائري المولد) أوجست موليراس والهولندي كريستيان سنوك هورخرونيو، وغيرهم كثير.

مسلم مزيف!

لقد استطاع المستشرق ريتشارد فرانسيس بيرتن «بنجاح أبعد بكثير من تي. أي. لورنس، أن يصبح شرقيا. فهو لم يتكلم اللغة بطلاقة فحسب، بل استطاع أن ينفذ إلى قلب الإسلام ويحقق، متنكرا كطبيب هندي مسلم، الحج إلى مكة». (الاستشراق، ص ٢٠٧). وهذا ما سوف يلهم العديد من المستشرقين في المستقبل الذين سوف يركزون على إتقان لغة التواصل مع شعوب الشرق من جهة، والتظاهر بالدخول في الدين الإسلامي من جهة ثانية. إن المطلع على ترجمة حياة بيرتن (١٨٢١- ١٨٩٠) في موسوعة الاستكشاف البريطانية وغيرها من المراجع، يدرك أنه كان موسوعي المعرفة جمع بين علوم الاستشراق والجغرافيا واللسانيات والإثنوغرافيا والترجمة والرحلة وغيرها، ثم إن أسفاره لم تقتصر على إقليم معين من أقاليم الشرق فقط، بل غطت مناطق متنوعة من القارات الآسيوية والإفريقية والأمريكية، حيث زار الهند ومصر والجزيرة العربية والصومال وتنزانيا ونيجيريا وأمريكا الشمالية والبرازيل وغير ذلك. ولعل مرد هذا إلى تقلده مناصب متعددة في القوات العسكرية البريطانية، وبعد ذلك في الجهاز الديبلوماسي مستشارا وسفيرا في البرازيل ودمشق وإيطاليا. وقد مكنته كثرة الترحال بين الأصقاع المترامية التي كانت تحت سيادة الإمبراطورية البريطانية من استكشاف شتى الثقافات والعقائد والتقاليد واللغات والجغرافيات، فكانت ثمرة ذلك كله العديد من الأبحاث والمؤلفات أشهرها ترجمته لألف ليلة وليلة ورحلة الحج إلى مكة والمدينة. (Encyclopedia of Exploration Volume ١, p ٩١- ٩٣)

ومن خلال القراءة الأولية لسيرة هذا المستشرق الموسوعي يظهر

أن جهوده العلمية لا يمكن فهمها إلا في إطار المعادلة الإمبريالية الأوروبية، إذ يمكن اعتباره واحدا من أهم صناع السياسة الخارجية والاستعمارية الإنجليزية أثناء النصف الثاني من القرن التاسع عشر. ويذكر المفكر إدوارد سعيد أن كتابات بيرتن تُعدُّ «نموذجا للصراع بين الفردية وبين الشعور القوي بالتلبس القومي مع أوروبا (خصوصا إنجلترا) من حيث هي قوة إمبريالية في الشرق». وأكثر من ذلك، كان بيرتن ممثلا بارعا عرف كيف يوازن بين انتمائه القومي وعمالته لسلطة بلده وبين تعاطفه مع الشرق. ويستعير إدوارد سعيد في هذا الصدد ملاحظة مهمة من توماس أسد يشير فيها إلى « أن بيرتن كان إمبرياليا رغم ربطه المتعاطف لنفسه بالعرب؛ بيد أن ما هو أكثر علائقية هو أن بيرتن اعتبر نفسه، في آن واحد، متمردا ضد السلطة (ومن هنا توحد الهوية بينه وبين الشرق بوصفه مكانا للحرية من السلطة الأخلاقية الفيكتورية)، وعميلا محتملا للسلطة في المشرق. وما هو شيق، هو طريق التعايش بين دورين متعارضين متعاديين رآهما بيرتن لنفسه».

وإذا كان بيرتن قد تمكن من المكوث والتنقل بين مختلف أرجاء الكرة الأرضية بحرية تامة، فإنه كان من الصعوبة بمكان تحقيق ذلك في العالم الإسلامي، حيث الغريب القادم من أوروبا الصليبية غير مرحب به، لأنه كان يشكل خطرًا على الملة والدين، فما كان على بيرتن إلا أن يسلك مسلك سابقيه من المستشرقين والرحالة، ويأخذ بالأسباب والشروط قبل أي مغامرة في العالم

الإسلامي، فأتقن لغة القوم، وتظاهر بأنه مسلم، بل وحمل اسمًا إسلاميًا هو: ميرزا عبد الله. وهكذا تمكن من التسلل إلى البنى العميقة للمجتمع الإسلامي، ليسبر غور الإنسان المسلم وعاداته وميولاته وطموحاته، وسوف تبلغ حركته التجسسية ذروتها أثناء دخوله البقاع المقدسة (مكة والمدينة) حاجًّاً مزيفا، وهو يجعل من هذا الصنيع «شهادة لانتصاره على نظام المعرفة الشرقية». (الاستشراق، ص ٢٠٦، ٢٠٧).

ولعل الحج المزيف الذي نظمه بيرتن إلى مكة يعتبر أغرب عملية تجسس لعالم غربي كبير يشار إليه بالبنان، إذ دفعه الفضول الاستشراقي إلى محاولة إثبات صحة شكوك الغرب حول الدين الإسلامي عن طريق الدليل المادي، فقام بهذه الرحلة إلى الجزيرة العربية قصد سرقة قطعة من الحجر الأسود، وبحثها في المختبر العلمي بإنجلترا بغرض دحض الرواية الإسلامية التي تقول بأن هذا الحجر من السماء. ويحكي المفكر الإسلامي زغلول النجار في إحدى محاضراته المسجلة عن هذه الحادثة التي كان بطلها المستشرق بيرتن، أنه حينما علم المستشرقون بهذا الأمر أرادوا البحث عن ثغرة يهاجمون بها الإسلام فقالوا إن المسلمين لا يعلمون شيئا، وقالوا إن الحجر الأسود ما هو إلا حجر بازلت أسود موجود في الطريق ما بين المدينة ومكة، وجرفه السيل إلى خارج مكة، وعثر عليه إبراهيم عليه السلام، فوضعه بداية للطواف. وأرادوا أن يثبتوا صدق كلامهم فأرسلوا أحد علماء الجمعية البريطانية التابعة لجامعة كمبردج ودرس اللغة العربية، وذهب إلى المغرب حيث تعلم العامية المغربية، ومنها إلى مصر للحج مع حجاجها على أنه حاج مغربي، ودخل الكعبة وفى غفلة الحراسة كسر قطعة من الحجر الأسود، وذهب بها إلى جدة واحتفل به سفير بريطانيا في السعودية احتفال الأبطال، فهو من وجهة نظرهم بطل أتى بالدليل على بطلان كلام رسول الإسلام بأن الحجر الأسود من السماء. ووصل إلى بريطانيا، وأودع قطعة الحجر الأسود في متحف التاريخ الطبيعي بلندن ليتم تحليله، وأثبتوا أنه نيزك من نوع فريد، فوقع الرجل مغشيًا عليه، وكتب كتابًا من أجمل الكتب سماه رحلة إلى مكة من جزءين، وصف في الجزء الأول عداءه للإسلام وإصراره على هزيمة المسلمين، ووصف في الجزء الثاني خضوعه لله سبحانه وتعالى بسبب أن الحجر الأسود من أحجار السماء. (بتصرف من محاضرة للمفكر زغلول النجار على اليوتيوب).

غير أن قصة إسلام هذا المستشرق تظل تتراوح بين الحقيقة والزيف. فهل عاش الرجل بقية حياته مسلمًا أم أن إسلامه انتهى بانتهاء مهمته التجسسية في الجزيرة العربية؟

الشيخ محمد تواضع بانغ شي تشيان

علماء أعلام من الصين في خدمة الإسلام والمسلمين (٣/٢)

د. يونس عبد الله ماتشينغ

محاضر في الجامعة الإسلامية العالمية - كوالالمبور

يقول الأستاذ محمود شمس الدين تشانغ تشيهوا الصيني في كتابه «تاريخ الإسلام في الصين ماضيه وحاضره» عن سيرة الشيخ محمد تواضع إنه «ولد في عائلة مسلمة مخلصة فقيرة من قومية هوي بقرية سانغبوه في مقاطعة خنان. وكان أبوه مؤمنا مخلصا راغبا في إعداد ابنه خلفا خيرا لقضية الإسلام، فأخذ محمد تواضع يتلقى منذ سن الرابعة التربية الإسلامية الأولى في مدرسة إسلامية بقريته، ثم درس اللغة الصينية والكتب الكونفوشيوسية. وعندما بلغ رشده شدّ رحاله إلى منطقة خنان خارج موطنه ومقاطعة شنشي، ومقاطعة قانسو وغيرها.

تتلمذ على أيدي مشاهير العلماء في المساجد، حيث تلقى التعليم المسجدي، ودرس الكتب الإسلامية من مختلف علوم الدين. وبفضل ذكائه الفطري، وجدّه الدؤوب في الدراسة أكمل التعليم المسجدي بنتائج متفوقة في سنوات عدة، فصار إمام المسجد المؤهل. وفي عام ١٩٢٢م دُعي إلى تولي إمامة المسجد في حي تشينغبينغلي في مدينة تشنغتشو بمقاطعة خنانا وهو في العشرين من عمره. وبعدئذ عاد إلى بلده حيث أسس مدرسة ابتدائية للغتين العربية والصينية. وفي عام ١٩٢٦م شارك في تأسيس «دار دراسة الحضارة الإسلامية» بمدينة تشنغتشو. وفي الفترة ما بين ١٩٣٠ و١٩٣٧م استُقدِم محمد تواضع إلى مدرسة تشنغدا للمعلمين ليعمل مدرسا، ومديرا للشؤون التعليمية للمدرسة.

وفي عام ١٩٣٨م توجه محمد تواضع بانغ شي تشيان على رأس بعثة من الطلاب الصينيين تتألف من ١٦ طالباً إلى مصر للالتحاق بجامعة الأزهر، حيث حط رحاله في كلية الشريعة الإسلامية للأزهر ليتابع دراسة اللغة العربية والفقه وعلم الحديث، واغترف من بحر العلوم، وشرب من مشارب المعارف، مما وسَّع أفقه العلمي، رغم أنه قد ناهز الأربعين من عمره، وأنه قد صار عالما إسلاميا وإمام المسجد. وبفضل تواضعه، وتفوقه في علوم الدين، وإخلاصه في الدين، وحصافته في معالجة الأمور صار موضع الاحترام والتقدير في الأزهر وفي القاهرة، ومن ثم عُيِّن مديرا لقسم شؤون الطلاب الوافدين الصينيين، كما تم توظيفه مستشاراً لملك مصر فاروق للشؤون الثقافية الشرقية، ومحاضرا في الحضارة الصينية في جامعة الأزهر، وفي الوقت ذاته أصدر كتابه «الصين والإسلام» بالعربية.

بعد أن أمضى الشيخ محمد تواضع تسع سنوات في جامعة الأزهر عاد على رأس الطلاب الصينيين إلى الوطن عام ١٩٤٦م. وفي الفترة ما بين ١٩٤٧ و١٩٤٩م اشتغل أستاذا للغة العربية

في جامعة المعلمين ببكين. وفي عام ١٩٤٧م شارك الشيخ عبدالرحيم ماسونغ تينغ في تأسيس المعهد الإسلامي ببكين داخل مسجد دونغسي وعمل مدرسا فيه. كما شارك الشيخ عبدالرحيم والشخصيات الإسلامية المرموقة الأخرى في تأسيس «دار خدمة نضارة الهلال الثقافية»، وتأسيس مجلة «نضارة الهلال» الشهرية، ومجلة «نضارة الهلال» الأسبوعية، وتولى رئاسة تحريرهما. وفي الوقت ذاته اشتغل أستاذا للغة العربية في جامعة المعلمين ببكين. وبعد تأسيس جمهورية الصين الشعبية اشتغل الشيخ محمد تواضع أستاذا في معهد قومية هوي ببكين، والمعهد الإسلامي الصيني ببكين على التوالي.

وفي عام ١٩٥٢م شارك محمد تواضع الشيخ برهان الشهيد، والشيخ نور محمد دابوشنغ، والأستاذ مكين وغيرهم من الشخصيات الإسلامية المرموقة في الأعمال التحضيرية لتأسيس الجمعية الإسلامية الصينية وانتخب عضوا دائمًا لهذه الجمعية.

ومن أهم مؤلفاته:

١. (الصين والإسلام) بالعربية صدر في دار الطباعة والنشر الإسلامية بالقاهرة عام ١٩٤٥م .

٢. (ذكريات تسع سنوات في مصر) باللغة الصينية، أعده عام ١٩٤٦م، وصدر في دار الخدمات الثقافية يوه هوا ببكين ١٩٥١م.

٣.(تاريخ تطور التعليم الإسلامي في مساجد الصين والكتب المدرسية) باللغة الصينية، نشر في مجلة نصف شهرية يوقونغ عام ١٩٣٧م (يعتبر كتابا وقتئذ).

٤.(تعليم وتربية أبناء قومية هوي والطلاب الصينيين الموفدين إلى مصر) باللغة الصينية، نشر في أول مجلة تنشرها الجمعية الإسلامية الصينية بفرع بكين ١٩٤٧م (يعتبر كتابا وقتئذ).

ومن تراجمه:

١.مناهل العرفان، لفضيلة الشيخ عبد العظيم الزرقاني.

٢.تاريخ التشريع الإسلامي للشيخ محمد الخضري بك، القاهرة: دار الطباعة والنشر الإسلامية.

٣.رسالة التجديد والمجددين للشيخ السيد عفيفي.

٤.علوم الحديث للشيخ السيد عفيفي.

٥.رسالة الكلام والمتكلمين للأستاذ محمد غلاب.

نذر الأستاذ محمد تواضع نفسه لقضية الإسلام والتعليم الإسلامي في الصين. وكان يدرس ويعمل في الظروف الصعبة بإرادة ثابتة لا تلين له قناة، وكان يدعو إلى إصلاح التعليم المسجدي. ولعل أكبر مساهماته لمسلمي الصين هو القيام بالاتصالات المتكررة مع جامعة الأزهر والملك فؤاد الأول في مصر للموافقة على إعطاء منح دراسية للشبان المسلمين الصينيين في جامعة الأزهر لإعداد علماء الإسلام الصينيين، وبالفعل قد تحقق ما طلبه بإذن الله، فنظموا ابتعاث خمس دفعات من الطلاب الصينيين إلى مصر بين عامي ١٩٣١م و١٩٣٦م. وقد بلغ العدد الإجمالي للموفدين ٣٥ طالبا، وصار معظم هؤلاء الطلاب بعد عودتهم إلى وطنهم من مشاهير العلماء، وأئمّة المساجد، وأساتذة الجامعة، والمترجمين، والدبلوماسيين البارزين، ولعبوا دورًا مهماً في نشر الإسلام، والحضارة الإسلامية، وتنمية التبادل الثقافي بين الصين والدول العربية والإسلامية. ومن هؤلاء الموفدين الأستاذ محمد مكين، وسليمان تشانغ بينغ دوه، وعبد الرحمن ناتشونغ، ونور محمد ناشيون، وداود دين تشونغ مينغ، وسعد وانغ شي مينغ، وشاقوه تشن، وليولين روي، ولين شين هوا، ولين شين تشي، ويانغ يويي، وماجي قاو، وماجينغ بونغ، وجينغ ماوتشيوان، ولين تشونغ مينغ، وبدرالدين هاي وي ليانغ... إلخ. الذين كرسوا ما تعلموا، وكل ما في وسعهم لخدمة الإسلام والمسلمين وقضية التعليم والشؤون الدبلوماسية الصينية.

إن الأستاذ محمد تواضع أول من جلب حروف الطباعة العربية إلى الصين تسهيلا لطبع المواد الدراسية العربية في المدارس الإسلامية، وتأليف معجم العربية الصينية، واستخدم الحروف والكلمات العربية في المجلات الإسلامية في فترة مبكرة.

ولكن هذا العالم البار الحليم الشهير الذي قدم مساهمات جليلة لقضية الإسلام والمسلمين والتعليم في الصين ولوطنه تعرض للإهانة والظلم حيث ألصقت به تهمة «اليميني البرجوازي»عام ١٩٥٧م، إذ كان الحزب الشيوعي يدعو العلماء والمثقفين والشخصيات من «الأحزاب الديمقراطية» إلى إبداء آرائهم، واقتراحاتهم لمساعدة الحزب الشيوعي الصيني على تقويم أساليب عمل الحزب الحاكم. وفي الحقيقة كانت هذه الدعوة خدعة خُدع بها كثيرون من العلماء والمثقفين الصادقين والمستقيمين الذين أبدوا آراءهم واقتراحاتهم وانتقاداتهم للحزب الحاكم، ومن كلام الشيخ المشهور «ينبغي على الحزب الشيوعي الصيني أن يعرف أن الصين هي صين الشعب الصيني كله، وليس صين حزب واحد...». وبهذه الكلمات فقط ألصق بالشيخ الموقر تهمة «اليميني البرجوازي»، فلم يمض وقت طويل حتى توفي الشيخ محمد تواضع في المستشفى تحت ضغط ثقيل، وكبت شديد من مضايقة وظلم الحزب الشيوعي الحاكم.

إن التاريخ فيصل عادل، ففي عام ١٩٨٨م أقام المسلمون في بكين حفلة مهيبة لإحياء ذكرى مرور٣٠ سنة على وفاة الشيخ محمد تواضع بانغ شي تشيان، تعبيرًا عن حنينهم لهذا العالم الإسلامي الكبير.

موقف علماء الأزهر من الطلاق الشفوي

اعترضت أعلى مرجعية في الأزهر على مطالبة جهات في مصر بالاعتراف بالطلاق الشفوي. وأقرت هيئة كبار العلماء بالأزهر في بيان لها: «وقوع الطلاق الشفوي المستوفي أركانَه وشروطَه. والصادر من الزوج عن أهلية وإرادة واعية وبالألفاظ الشرعية الدالة على الطلاق. وهو ما استقرَّ عليه المسلمون منذ عهد النبيِّ - صلَّى اللّٰه عليه وسلَّم - وحتى يوم الناس هذا. دونَ اشتراط إشهاد أو توثيق».

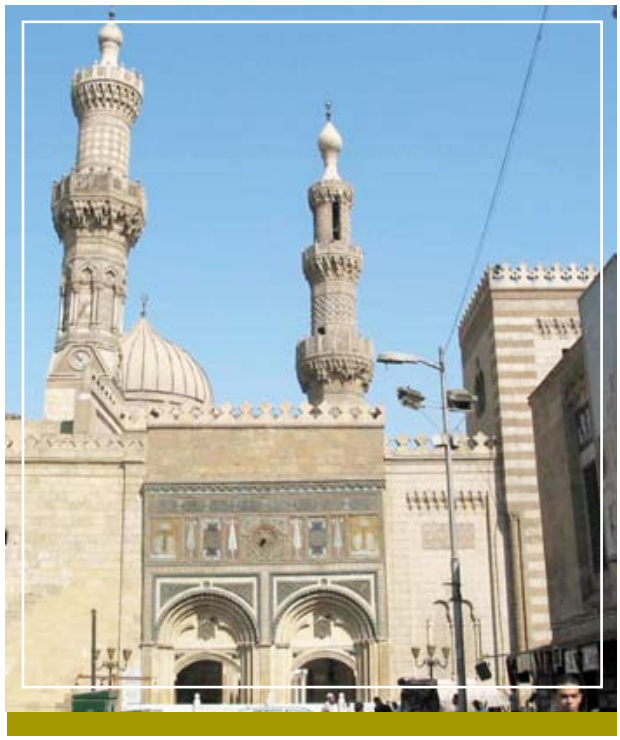

وأوضحت أن رأيها بهذا الخصوص جاء استنادًا إلى تقارير أعدتها اللجان المختصَّة وقدمتها إلى مجلس هيئة كبار العلماء والذي انتهى الرأي فيه بإجماع العلماء على اختلاف مذاهبهم وتخصُّصاتهم إلى القرارات الشرعية التالية:

أولاً: وقوع الطلاق الشفوي المستوفي أركانَه وشروطَه، والصادر من الزوج عن أهلية وإرادة واعية وبالألفاظ الشرعية الدالة على الطلاق، وهو ما استقرَّ عليه المسلمون منذ عهد النبيِّ - صلَّى الله عليه وسلَّم - وحتى يوم الناس هذا، دونَ اشتراط إشهاد أو توثيق.

ثانيًا: على المطلِّق أن يُبادر في توثيق هذا الطلاق فَوْرَ وقوعِه؛ حِفاظًا على حُقوق المطلَّقة وأبنائها، ومن حقِّ وليِّ الأمر شرعًا أن يَتَّخِذَ ما يلزمُ من إجراءاتٍ لسَنِّ تشريع يَكفُل توقيع عقوبةٍ تعزيريَّةٍ رادعةٍ على مَن امتنع عن التوثيق أو ماطَل فيه؛ لأنَّ في ذلك إضرارًا بالمرأة وبحقوقها الشرعيَّة».

وكان الرئيس عبدالفتاح السيسي دعا في كلمته خلال الاحتفال بعيد الشرطة الشهر الماضي إلى ضرورة إصدار قانون ينظم حالات الطلاق الشفوي، بعد ارتفاع معدلات الانفصال خلال الفترة الأخيرة، والتي بلغت وفقاً لتقارير الجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء ٩٠٠ ألف حالة سنويًا، ٤٠٪ منهم ينفصلون بعد مرور ٥ سنوات.

ويرى السيسي، أن إصدار قانون ينظم حالات الطلاق الشفوي من شأنه أن يعطى الفرصة للأزواج إلى مراجعة قرار الانفصال.

ورأت هيئة كبار العلماء، أن «ظاهرةَ شيوع الطلاق لا يقضي عليها اشتراط الإشهاد أو التوثيق، لأن الزوجَ المستخفَّ بأمر الطلاق لا يُعيِيه أن يذهب للمأذون أو القاضي لتوثيق طلاقه، علمًا بأنَّ كافَّة إحصاءات الطلاق المعلَن عنها هي حالاتٍ مُثبَتة ومُوثَّقة سَلَفًا إمَّا لدى المأذون أو أمام القاضي».

وشددت على أن «العلاج الصحيح لهذه الظاهرة يكون في رعاية الشباب وحمايتهم من المخدرات بكلِّ أنواعها، وتثقيفهم عن طريق أجهزة الإعلام المختلفة، والفن الهادف، والثقافة الرشيدة، والتعليم الجادّ، والدعوة الدينية الجادَّة المبنيَّة على تدريب الدُّعاة وتوعيتهم بفقه الأسرة وعِظَم شأنها في الإسلام؛ وذلك لتوجيه الناس نحوَ احترام ميثاق الزوجية الغليظ ورعاية الأبناء، وتثقيف المُقبِلين على الزواج».

وناشَدت الهيئة جميعَ المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها «الحذَر من الفتاوى الشاذَّة التي يُنادي بها البعض، حتى لو كان بعضُهم من المنتسِبين للأزهر؛ لأنَّ الأخذَ بهذه الفتاوى الشاذَّة يُوقِع المسلمين في الحُرمة».

وأهابت الهيئة بكلِّ مسلم ومسلمةٍ التزام الفتاوى الصادرة عن هيئة كبار العلماء، والاستمساك بما استقرَّت عليه الأمَّةُ؛ صونًا للأسرة من الانزلاق إلى العيش الحرام.

وحذرت الهيئة «المسلمين كافَّةً من الاستهانة بأمر الطلاق، ومن التسرُّع في هدم الأسرة، وتشريد الأولاد، وتعريضهم للضَّياع وللأمراض الجسديَّة والنفسيَّة والخُلُقيَّة، وأن يَتذكَّر الزوجُ توجيهَ النبيِّ - صلَّى الله عليه وسلَّم - أنَّ الطلاق أبغَضُ الحلال عند الله، فإذا ما فرَّر الزوجان الطلاقَ، واستُنفِدت كلُّ طرق الإصلاح، وحَتَّم الفراق، فعلى الزوج أن يلتزم بعد طلاقه بالتوثيق أمام المأذون دُون تَراخٍ؛ حِفظًا للحقوق، ومَنعًا للظُّلم الذي قد يقعُ على المطلَّقة في مثل هذه الأحوال».

كما اقترحت الهيئة أن «يُعادَ النظرُ في تقدير النفقات التي تترتَّب على الطلاق بما يُعين المطلَّقة على حُسن تربيةِ الأولاد، وبما يتناسبُ مع مقاصدِ الشريعة».

وقالت إنها تتمنى «على مَن «يتساهلون» في فتاوى الطلاق، على خلاف إجماع الفقهاء وما استقرَّ عليه المسلمون، أن يُؤدُّوا الأمانةَ في تَبليغ أحكام الشريعةِ على وَجهها الصحيح، وأن يَصرِفوا جُهودَهم إلى ما ينفعُ الناس ويُسهِم في حل مشكلاتهم على أرض الواقع؛ فليس الناس الآن في حاجةٍ إلى تغيير أحكام الطلاق، بقدر ما هم في حاجةٍ إلى البحث عن وسائل تُيسِّرُ سُبُلَ العيش الكريم».

مسجد البرازيل مناشط دعوية وثقافية

بقلم: خالد رزق تقي الدين

متخصص في شؤون الجالية المسلمة بأمريكا اللاتينية

بدأت هجرة المسلمين للبرازيل بداية القرن العشرين. وكان المهاجرون يسعون لتحسين أحوالهم المعيشية والعودة للأوطان في أقرب فرصة ممكنة. لكن الهجرة امتدت لسنوات طويلة. كانت كفيلة بأن يفكر المسلمون بإنشاء كيان يوحد قوتهم وينظم صفوفهم. فأسسوا (الجمعية الخيرية الإسلامية) في ١٠يناير ١٩٢٩م بمدينة ساو باولو.

وظل حلم بناء أول مسجد في أمريكا اللاتينية يراود أذهان كثيرين من أبناء الجالية المسلمة في البرازيل إلى أن تبنت الفكرة الجمعية الخيرية الإسلامية. وتمكنوا من شراء قطعة أرض في (شارع الولاية). وأقاموا أول مسجد في أمريكا اللاتينية عام ١٩٤١م. وُضع حجر الأساس لمشروع المسجد بحضور مسؤولين من حكومة البرازيل وبعض القناصل من الدول العربية. ووجهوا

رسائل للملوك والأمراء للتبرع لمشروع المسجد، وقد تبرع الملك فاروق بمبلغ ٥٠٠ جنيه، والأمير محمد علي باشا توفيق بشيك بمبلغ ١٠٠ جنيه.

عام ١٩٥٦م قامت وزارة الأوقاف المصرية بإرسال مسؤول العلاقات الخارجية الدكتور عبد الله عبد الشكور كامل ليكون أول مبعوث لها إلى البرازيل وأمريكا اللاتينية، الذي باشر الإشراف على الانتهاء من تشييد المسجد، وأرسلت مصر المنبر والنجف وخطاطاً متخصصاً هو الأستاذ أحمد شديد لتزيين قبة وجدران المسجد بالخطوط العربية والزخارف الإسلامية.

افتتح المسجد رسميًا في ٢٠ مايو١٩٦٠م، بحضور السيد حسين ذو الفقار صبري ممثلا عن المؤتمر الإسلامي وسفراء الدول العربية والإسلامية وحاكم وعمدة مدينة ساوباولو ورجال الدين المسيحي، وقد تتابعت كلمات الحضور لتؤكد على حسن المشاركة العربية - إسلامية ومسيحية - في تشييد هذا الصرح الكبير الذي أصبح معلمًا حضاريًا في كل أمريكا اللاتينية.

وامتد دور مسجد البرازيل من خلال القائمين عليه لتنشيط دور الجاليات المسلمة في البرازيل وجمع قوى الجالية لتأسيس المساجد والمدارس والمؤسسات التي ترعى شؤون الجالية، فتم تأسيس (المدرسة الإسلامية البرازيلية) عام ١٩٨٦م في حي فيلا كارون بمدينة ساو باولو، و(المقبرة الإسلامية) بحي غواروليوس، والنادي الإسلامي بحي سانتو أمارو، وتم وضع حجر الأساس لأكثر من مسجد في أكثر من ولاية « مسجد باريتوس ومسجد برازيليا ومسجد كوريتيبا ومسجد باراجوا ومسجد لوندرينا ومسجد ريو دي جانيرو ومسجد كولينا»، وامتد دور مسجد البرازيل ليشمل دول أمريكا اللاتينية وتشييد المساجد بها «الأرجنتين وفنزويلا وتشيلي ودول الكاريبي».

وتعاقب على رئاسة الجمعية الخيرية الإسلامية، وهي المشرفة على مسجد البرازيل، كثير من الرؤساء الذين عملوا جاهدين للحفاظ على هذا الإرث الحضاري والتاريخي والعلمي، وبذلوا كثيراً من الوقت والمال.

وفي عام ٢٠١٤م تولى رئاسة الجمعية الخيرية الإسلامية السيد ناصر فارس فنظر إلى الماضي وتطلع للمستقبل، وتقدم بمشروع كبير للحفاظ على شكل المسجد كما تم بناؤه وقام بعمل أكبر توسعة للمسجد من خلال شراء البيوت المجاورة، وصيانة شملت جميع المرافق وأصبح المسجد يعمل على أرقى الطرق العلمية والتكنولوجية، وامتدت الصيانة لتشمل المقبرة الإسلامية حيث تم توسعتها، وكذلك المدرسة الإسلامية البرازيلية، وتكلف مشروع الصيانة ٥٠ مليون ريال برازيلي ما يعادل ١٦ مليون دولار أمريكي.

ومنحت الجمعية الخيرية الإسلامية مساحة كبيرة لتكون مقرا للمجلس الأعلى للأئمة والشؤون الإسلامية في البرازيل وهو تجمع يضم مشايخ وعلماء البرازيل، ومقرا لممثلية دار الفتوى اللبنانية، وهذا يتوافق مع رؤية رئيس الجمعية المستقبلية أن يكون مسجد البرازيل حاضنا لجميع المؤسسات والمساجد الإسلامية في البرازيل كما كان العهد في الماضي.

يؤدي مسجد البرازيل دورًا علميًا وثقافيًا واجتماعيا مهماً للجالية المسلمة والمجتمع البرازيلي، فإضافة للصلاة تقام دروس ثابتة يتولاها إمام المسجد الشيخ الدكتور عبد الحميد متولي، حيث يحضرها عدد كبير من البرازيليين، وكانت سببا في هداية أكثرهم لدين الإسلام، ويعد المسجد أنشط الأماكن داخل البرازيل في حالات اعتناق الإسلام، وتوجد أربعة فصول دراسية في المباني الملحقة بالمسجد لتدريس اللغة العربية والثقافة الإسلامية واللغة البرتغالية والإنجليزية للبرازيليين وأبناء المسلمين.

أما على المستوى الاجتماعي فقد تم خلال السنوات الأخيرة توزيع ١٢ ألف سلة غذائية، و٥ آلاف غطاء للبرد، ودفع إيجار٤٠ منزلا لعائلات مسلمة بسيطة الحال، وتقديم خدمات قانونية للاجئين، وهذا النشاط يمتد للعائلات البرازيلية القريبة من المسجد.

أما على المستوى الثقافي فقد تمت طباعة وتوزيع آلاف النسخ من ترجمة معاني القرآن وكتاب الرحيق المختوم، وحقق موقع مسجد البرازيل على شبكة «فيس بوك» معدلا لم تصله كثير من المؤسسات العاملة، فقد وصل عدد المتابعين ٢,٧٠٠,٠٠٠ وهو عدد كبير جدا أغلبهم من البرازيليين الذين يتعرفون على سماحة الإسلام وحضارته.

إن الرؤية المستقبلية والإستراتيجية للجمعية الخيرية الإسلامية تتمثل في تصريح رئيسها السيد ناصر فارس بإنشاء أربع مدارس بمدينة ساو باولو، وجامعة إسلامية ووقف إسلامي يعود ريعه على إدارة المشاريع التي يتولاها مسجد البرازيل. وهذه الرؤية تحتاج لتضافر الجهود داخليا وخارجيا، والمؤسسات في العالم الإسلامي مدعوة للوقوف والمساهمة بكل قوتها للمحافظة على هذا الكيان الشامخ، وخصوصا الأزهر الشريف ووزارة الأوقاف المصرية ورابطة العالم الإسلامي ودار الفتوى اللبنانية، حيث يتم استثمار تلك الجهود وآفاق التعاون المشترك لمستقبل أفضل للإسلام والمسلمين في البرازيل.

تحية حب ووفاء لكل من ساهم في رفع لواء التوحيد والعلم والثقافة والحضارة الإسلامية في البرازيل، رحم الله من سبقوا وبارك الله في من بقي على العهد وصابر واحتسب الأجر من الله تبارك وتعالى.

إبراهيم بن إطفيش

مثال لتجاوز الانتماء الـفِرَقي الطائفي إلى الوحدة والتعاون

د / أحمد عبد الحميد عبد الحق

باحث وأكاديمي ـ مصر

يتجه العالم في السنين الأخيرة نحو الاتفاق ونبذ الاختلاف، بتقديم المصلحة العامة فوق كل اعتبار؛ حتى رأينا أمماً وطوائف كان الخلاف والصراع بينها على أشده عبر قرون طويلة من الزمان قد بدأت تجنح نحو الألفة والاتفاق، وتجاوز الفرقة ومواطن الاختلاف. وغدا قادة تلك الطوائف يعقدون اللقاءات والمؤتمرات العالمية لبحث سبل الألفة بينهم وتجاوز أمور الاختلاف مهما كانت كبيرة. وأولى بالمسلمين أن يكونوا كذلك، ويسلكوا نفس السبيل.

وكيف لا يفعلون وربهم واحد، ودينهم واحد، ونبيهم واحد، وكتاب هدايتهم واحد، وقد أمرهم الله عز وجل أن يكونوا أمة واحدة وليسوا أمما أو طوائف مختلفة متناحرة ؟!

كيف لا يسعون لنبذ الفرقة والاختلاف والصراع المقيت، والله سبحانه وتعالى يأمرهم في كتابه الكريم بأن يعتصموا بحبل الله: «وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا» ويحذرهم من الفرقة والاختلاف: «وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ».

وتلبية لأمر الله هذا وجدنا من العلماء المخلصين في القرن الماضي من يسعى للمّ شمل المسلمين، ويحاول أن ينفتح بالطائفة المسلمة التي ينتمي إليها إلى باقي المسلمين، ويتعامل مع العلماء الذين يخالفونه في المذهب على البر والتقوى، ويعمل معهم على نصرة الإسلام والمسلمين، أيًا كان موطنهم أو مذهبهم أو لغتهم، ومن هؤلاء الفقيه المجتهد والعالم الإباضي المذهب، الجزائري المنشأ، إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن يوسف إطفيش.

وحري بنا الاحتفاء بأمثال هؤلاء الذين نبهوا بسلوكهم على خطورة المشاريع الطائفية التي أذكت العداوة بين المسلمين. فهذا الرجل صاحب الفكر المتحرر لم يشأ التقيد بمذهب فقهي ورثه عن بيئته، وإنما نبذ العصبيات في العرق والمذهب والجهة، ووهب حياته لأمته الإسلامية «فأمضى عمره في حمل همومها في قلبه حيثما حل وارتحل، لا يرى له موطنًا غير العالم الإسلامي كله، يرفرف في سمائه قلبه، ويرى فيه وطنًا جامعا حاضنا لكل أبنائه بمختلف أطيافهم تحت راية عقيدة وشريعة الإسلام... وبقت كل تزمت وتقوقع وانزواء وجمود، وهو شديد في الحق، متمسك بأصالته وانتمائه لوطنه الجزائر دون تعصب أو جهوية أو عنصرية» (د. قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج: القضايا الجزائرية في مجلة المنهاج للشيخ أبي إسحاق إبراهيم إطفيش).

يمتاز بشخصية قوية «ويدل في تحليلاته للأوضاع والقضايا السياسية والاجتماعية والدينية على سعة في المعرفة، واطلاع جم على الأحداث، ومواكبة حية لتطوراتها، وثبات راسخ في الموقف والتوجه» (محمد فاروق الإمام : العلامة الوطني أبو اسحق إبراهيم إطفيش).

لم يدرس العلم ليتباهى به، أو لينال مغانم، أو ليحقق مكاسب؛ ولكن ليرفع به قومه، ويدفع ويسفع به عدوه (محمد الهادي الحسني: أبو إسحاق إطفيش).

بدأ حياته العلمية بحفظ القرآن الكريم فأتمه وهو في الحادية عشرة من عمره، ثم تعلم مبادئ اللغة العربية والإسلام على يد أقاربه، ثم تجول بين مسقط رأسه في وادي ميزاب وبين الجزائر طلبا للعلم وسماعه من شيوخ الإباضية، وخاصة عمه الشيخ محمد يوسف إطفيش الذي كان من علماء الإباضية الجزائريين وذاع صيته في الآفاق.

وقد ظهرت عليه أمارات النبوغ المبكر، حيث أقبل على التأليف العلمي وهو في السادسة عشرة من عمره وتصدى للإمامة والفتوى وهو في مقتبل شبابه.

رحلته إلى تونس وانفتاحه على علماء السنة:

وبعد أن حصل على قدر كافٍ من العلم بالجزائر سافر إلى تونس سنة ١٩١٧م، وهناك التحق بجامع الزيتونة، وواصل تعلمه على يد كثير من شيوخه الفضلاء، أمثال الشيخ المالكي الطاهر بن عاشور، والشيخ الحنفي بن يوسف، والشيخ محمد النجلي والشيخ عبد العزيز أجعيط وغيرهم ؛ مما يعني أنه لم يقتصر على شيوخ الإباضية الذين نشأ بينهم، وإنما حرص على التتلمذ على يد كبار العلماء على اختلاف مذاهبهم؛ مما أكسب علمه وفقهه الموسوعية، وقد ظهر نشاطه البارع في تحصيل العلم بتونس بالإضافة إلى العمل الوطني ومجاهدة المحتل؛ حتى صار مثار إعجاب مشايخه، ذكاء وأخلاقاً وسعة علم.

وظل يرتقي في العلم ويرتقي به حتى صار مرجعًا للفتوى في المذهب الإباضي عند المشارقة والمغاربة على السواء؛ بالإضافة إلى تبحره في المذهب السني.

جهاده الاجتماعي والسياسي:

لم يقصر الشيخ إطفيش نشاطه بتونس على طلب العلم فقط، فلا طائل من وراء العلم إن لم يتحول لعمل، ولما كانت قضية الاحتلال هي أهم ما كان يشغل اهتمام العلماء العاملين وقتها، فقد شارك في سنة ١٩٢٠م الموافق لـ ١٣٤٠هـ في إنشاء حزب الدستور التونسي بقيادة الشيخ عبد العزيز الثعالبي، هو وزملاؤه في البعثة الدراسية؛ أبو اليقظان، ومحمد الثميني، والشيخ صالح بن يحيى. وتعاونه مع الشيخ عبد العزيز الثعالبي وهو سني المذهب ضد الاحتلال دليل على أنه كان يرى وجوب الاتحاد بين المسلمين على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم في مواجهة الخطر الذي يواجههم جميعا، وإذا كان الاختلاف يجوز في أوقات الترف فإنه لا يجوز وقت الخطر والشدة.

ولم يكتف الرجل بذلك بل كان همزة وصل بين زعيمين سنيين هما الشيخ عبد العزيز الثعالبي بتونس والأمير خالد بن عبدالقادر الجزائري في الجزائر.

وقد برز نشاطه وكفاحه من خلال حزب الدستور في توعية الجماهير المسلمة بالمغرب العربي على اختلاف طوائفهم، حتى اشتهر أمره في الأوساط السياسية والثقافية بكرهه الشديد للاستعمار الفرنسي، فقررت السلطات الفرنسية نفيه وإبعاده،

وأبلغه المقيم العام بتونس أن الحكومة الفرنسية تدعوه إلى الكف عن كل حركة عدائية، وليختر لنفسه أي بلد شاء خارج هذا التراب، وعندها وجد أن تونس التي تئن تحت الاحتلال ليست له بدار، فغادرها إلى مصر.

هجرته إلى مصر:

وكانت مصر في تلك الفترة مقصد الطامحين في المعالي من العلماء ومأوى الفارين من الاضطهاد ؛ولذلك قصدها كثير من المغاربة الهاربين من وطأة الاحتلال الفرنسي الغاشم وقسوته مع الناس عامة والعلماء خاصة. ومن هؤلاء الشيخ ابن إطفيش الذي دخلها فارًا بدينه في ٢٣ فبراير ١٩٢٣م، وهي نفس الفترة التي نفي فيها كل من الأمير خالد بن عبد القادر الجزائري، وعبد العزيز الثعالبي، اللذين تربطهما به روابط العمل الوطني والنضالي.

وفي القاهرة وجد المجال واسعا للعمل الوطني، فنشط في ميدان السياسة والفكر، وقام بأعمال جليلة في الصحافة وتحقيق التراث والتأليف، إلى جانب نشاطه الاجتماعي مع الجمعيات الخيرية ذات التوجه الإصلاحي الإسلامي.

وانضم مؤازرًا لزعماء الحركات الإصلاحية: أمثال محب الدين الخطيب، وأحمد تيمور، ورشيد رضا وغيرهم.

وأُذكِّرُ هنا بأن محب الدين بن الخطيب ورشيد رضا كانا من أعلام الفكر السلفي بمصر وقتها، وتعاونُ الشيخ ابن إطفيش معهما وتعاونهما معه دليلٌ على الود الكامل الذي كان شائعا بين علماء السلفية وعلماء الإباضية، وأن كل فريق يكن الاحترام والتقدير للآخر، فليفقه ذلك أبناء جيلنا!

وفي مصر انتسب الشيخ للعمل في دار الكتب المصرية التي كانت تستهوي محبي العلم، كما فعل الشيخ التونسي الجزائري محمد الخضر حسين، حيث كانت توفر لهم مصدر رزق يتعيشون به، وتتيح لهم قضاء كل وقتهم في طلب العلم وخدمته.

وفور انتسابه إليها انكب على تصحيح وتحقيق (الجامع لأحكام القرآن) للقرطبي، كما شارك أيضا في تصحيح كتاب المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، وفي تصحيح الطبعة الأخيرة من مصحف (الملك).

وشارك مشاركة فعالة في تحرير مادة الموسوعة الفقهية التي كانت تصدر بمصر وقتها، وتراعي الاختلافات بين الطوائف الإسلامية بما لا يتعارض مع نصوص الإسلام، فكان مرجعا فيما يتعلق بالمذهب الإباضي، كما كان المرجع لكثير من المشاكل اللغوية والمفردات التي أدمجت في متن اللغة بواسطة المجمع اللغوي الذي أنشئ وقتها بمصر.

واشتهر بين زملائه العلماء «بقوة عارضته إذا حاجج، ورحابة صدره إذا نوقش، ورسوخ قدمه في مجالي الشريعة وعلوم اللغة إذا استفتي أو استشير» (د. محمد صالح ناصر: أبو إسحاق إبراهيم إطفَيَّشْ).

ولعل ما بُهر به المصريون فعلا هو إخلاصه النادر لعمله قرابة أربعين سنة كان فيها مثالا للجد والمثابرة والتفاني، واكتسب من أجل ذلك صداقة فطاحل علماء مصر، من أمثال الشيخ مصطفى المراغي شيخ جامع الأزهر، ومحمد أبو زهرة، ومحمد علي النجار، ومحمد سلام مدكور، ومصطفى عبد الرزاق، ومنصور فهمي، وغيرهم.

إصداره لمجلة المنهاج:

وفي القاهرة لم ينس بلاده التي تئن تحت وطأة الاحتلال الفرنسي، وإنما جاهد في سبيل تحررها بقلمه، وأصدر وترأس مجلة المنهاج ليبعث من خلالها أفكاره إلى قومه بالمغرب العربي، وتكون عونًا مع غيرها في نشر الثقافة والوعي بين الأمة الإسلامية.

تلك المجلة التي أثنى عليها الشيخ ابن باديس، وهو من أبرز علماء أهل السنة بالجزائر وقتها، ونصح أتباعه بالمواظبة على قراءتها بقوله: «أقدم لإخواني الجزائريين هذه المجلة الراقية التي هي أول نشرة جزائرية في مصر. وأدعوهم إلى مؤازرتها، لتظهرهم هنالك بالمظهر الشريف، وتعرب عن حالهم أمام أم الشرق، وترمي وراءهم بسلاح الحقيقة في دفاع مجيد» فأقبل جميع المثقفين على متابعتها إباضية ومالكية.

ولا عجب فقد كانت تعبر عن توجهات الإصلاحيين الجزائريين خارج أرض الجزائر، وتُعرِّف بقضاياهم في ربوع البلاد الإسلامية، كما كانت ميداناً فسيحًا للنضال السياسي والفكري والعلمي في الساحة الإسلامية العامة.

وقد باشر الشّيخ إبراهيم عمله في تلك المجلة «المنهاج» بعد سنتين من نفيه إلى القاهرة من تونس، وظهر العدد الأول منها في أول المحرم سنة ١٣٤٤ / ١٩٢٥ وكان يطبعها في المطبعة السلفية بالقاهرة، وقد سماها المنهاج «عنواناً ليعبر من خلاله عن منهجها الإسلامي الواضح، واتجاهها الوطني الصريح، وقد وضح ذلك من الآية التي كانت تتصدر الغلاف «لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً» (رغداء محمد أديب زيدان : الشيخ إبراهيم إطفيش والمنهاج).

واشتهرت هذه المجلة بصدق لهجتها، وسلفية منهجها، وعربية نزعتها، وكانت تهتم بأحوال المغرب العربي، وتبين للمسلمين ما يفعله المستعمرون في تلك البلاد، من أعمال النهب والسطو على تراث ومقدرات تلك البلاد، ومن أعمال التبشير ومحاربة العروبة والإسلام. وقد كانت وسيلة مهمة لتعريف أهل المشرق العربي بأحوال أهل المغرب.

هذا، وقد قسم الشيخ أبوابها ثلاثة أقسام: القسم العلمي،

والقسم السياسي, والقسم الاجتماعي, ولكنَّ موضوعاتها كانت تتداخل بشكل يصعب فيها الفصل بين هذه الأقسام, وهذا ـ طبعاً, إن دل على شيء ـ فإنه يدل على فكر الشيخ إبراهيم, الذي كان يؤمن بحاجة الأمة العربية والإسلامية إلى نهضة عامة, ترتبط فيها هذه المجالات مع بعضها ارتباطاً وثيقاً (رغداء محمّد أديب زيدان : الشّيخ إبراهيم إطفيش والمنهاج).

ونشر فيها مقالات ومواضيع مهمة لكتاب كبار, أثروها بكتاباتهم وأفكارهم وأشعارهم, وأكدوا فكرتها العربية والإسلامية, وكان على رأسهم السيد محب الدين الخطيب الذي كان من أكثر المتعاونين مع الشيخ إبراهيم في نشاطه العلمي والنهضوي , ومنهم المجاهد الليبي سليمان الباروني, الذي كان يكن له الشيخ إبراهيم الاحترام الكبير لجهاده وصبره , ومنهم أحمد زكي باشا, شيخ العروبة , وغيرهم من الكتاب الذين كانوا يحملون رسالة النهضة والحضارة, ونصرة الإسلام.

وقد تعاون هؤلاء معه لما لمسوه من صدقه واهتمامه بقضايا الأمة العربية والإسلامية, ولم يمنعهم من ذلك أي مانع مما نراه اليوم في حياتنا الثقافية والعامة, من طائفية بغيضة, أو تنافس على الظهور والشهرة, أو سعي وراء المكسب والمغنم حتى ولو كان على حساب المبادئ والمصداقية (رغداء محمّد أديب زيدان : الشّيخ إبراهيم إطفيش والمنهاج) .

وعندما مر بأزمة مالية منعته من الاستمرار في إصدار الصحيفة لم ير أفضل من السيد محب الدين الخطيب العالم السلفي ليتنازل له عن ترخيص الصحيفة ضماناً لمسيرتها, وتحمل السيد محب الدين هذه المسؤولية وأشرف على إصدارها؛ فكان بذلك عوناً لصديقه إبراهيم إطفيش في خدمة الإسلام والمسلمين ..

وذلك يؤكد ما ذكرته من قبل على مدى الثقة التامة بين عالمين جليلين أحدهما كان يعد شيخ الإباضية في وقته والآخر شيخ السلفية بمصر ..

وقد استمر الشيخ محب الدين في نشر كل ما يهم المسلمين في العالم الإسلامي بها, وخاصة الموضوعات التي تفند دعاوى التبشير والاستشراق, وغير ذلك من الموضوعات التي كانت تشغل بال المسلمين في تلك الأيام.

وقد أثنى الشيخ محمد رشيد رضا ـ وهو من علماء السلف بمصر كما قلت من قبل ـ على تلك المجلة بقوله :« مجلة علمية أدبية إسلامية ... كان من بواكر ثمراتها الرد على كتاب الشيخ علي عبد الرازق راوندي هذا العصر في محاربة الإسلام, وناصر الإفرنج على المسلمين, ومؤيد دعاية الملاحدة اللادينيين بشبهات الدين, وإذا كان منشئ هذه المجلة من كبار علماء الإباضية وخليفة أشهر علمائهم في العصر علما وبيتا, فالمرجو أن تكون مجلته من أسباب التأليف والوحدة بينهم وبين أهل السنة والشيعة, والخلاف بينهم وبين الشيعة أشد , وقد كان هو الذي بادر إلى الرد على بعض الكتب التي نشرها بعض دعاة التشيع في هذه السنين للطعن في أئمة حفاظ السنة ونبذهم بلقب النصب, وكان ردا معتدلاً , فعسى أن تنال ما يكافئ اجتهاد منشئها الغيور على الأمة والملة من الرواج والانتشار» .

هذا ويمكن تلخيص أهم الموضوعات التي عالجها الشيخ ابن إطفيش في تلك المجلة فيما يأتي :

١ـ محاربة التجنيد الإجباري الذي فرضته السلطات الاستعمارية على الشعب الجزائري, والتركيز على محاربة تطبيق هذا القانون على وادي ميزاب, بحكم خضوعه لمعاهدة حماية مع الاستعمار الفرنسي؛ لأنه يعد في منظور الشيخ كله تعسفا وجورا وظلما للشعب الجزائري.

٢ ـ التعريف بوجوه النهضة الإصلاحية في الجزائر التي لاحت تباشيرها في الآفاق من خلال جهود العلماء المصلحين, وجهود الزعماء الوطنيين المخلصين.

٣ ـ إبراز الوجه الحضاري المشرق للجزائر المنتمي إلى حضارة الإسلام وتراثه وثقافته, من خلال عرض صفحات من تاريخه الحديث والمعاصر, خاصة خلال عهد الحكم العثماني التركي؛ بداية من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر الميلادي.

٤ ـ محاربة الجمود الفكري والتعصب المذهبي والانحلال الخلقي الذي كان ظاهرة متفشية بين أبناء الجزائر, مما سهل على المستعمر بث سمومه وفرض هيمنته وزرع تفرقته بين الأهالي, ومما صعب من عملية الإصلاح على المصلحين, ومن عملية الجمع والتوحيد على الزعماء والسياسيين.

٥ ـ فضح مخططات الاستعمار ومناهضة مشاريعه التخريبية للعقول والمهلكة للنفوس والمفسدة للقيم الجزائرية الإسلامية الأصيلة.

٦ ـ التعريف بالتراث العلمي للجزائر من خلال تحقيق وطبع مؤلفات لعلماء جزائريين..

٧ ـ مناصرة الصحافة العربية الجزائرية ذات التوجه الوطني الإسلامي, وهي تخطو خطواتها الأولى, وتضع قدمها في الطريق الصحيح, لتأخذ مكانها في الساحة الجزائرية, مع الجرائد ذات التوجهات الأخرى, لتعبر بذلك عن الضمير الحي للأمة وتنقل همومها وانشغالاتها وتطالب بحقوقها وتدافع عن مقوماتها وشخصيتها (د. قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج : القضايا الجزائرية في مجلة المنهاج للشيخ أبي إسحاق إبراهيم إطفيش).

هذا ولم تقتصر كتابات الشيخ إبراهيم المقالية على تلك المجلة , وإنما كان يكتب في جريدة الوزير بتونس, وبمجلتي الفتح والزهراء

بمصر ، وجريدة الإقدام والأمة والمغرب بالجزائر.

الشيخ والقضية الفلسطينية :

ولما كانت القضية الفلسطينية محور اهتمام العلماء في أوائل القرن الماضي كان للشيخ إطفيش دور كبير في مناصرتها ،وخاصة في مجلته «المنهاج» فقد أشار إلى سبب احتلالها وتناول نظرية «القابلية للاستعمار» وإلى « وعد بلفور» وإلى مسألة تسليح اليهود ،ومناصرة العالم الأوروبي لهم ،وتلك المناصرة في رأيه ما كانت لتجدي شيئا لولا تساهل المسلمين ،كما أشار إلى طبيعة الصراع بين المسلمين واليهود ، .... وإلى خطط الاستعمار التي كانت ترمي إلى تضييق الخناق على المسلمين، وتابع مسألة الاستيطان الأول لليهود في فلسطين على حساب أهل فلسطين الأصليين، وفضح خططهم؛ وأرشد إلى ضرورة اتخاذ جميع الوسائل والإعداد من جميع الجوانب، ومنها التوجه الوحدوي (الدعوة إلى وحدة المسلمين) والتحذير من خطط الاستعمار في هذا المجال...

كما قام ـ رحمه الله بالمشاركة في المؤتمر الإسلامي الذي عقد بالقدس الشريف لمناصرة القضية الفلسطينية ، وذلك في رجب ١٣٥٠هـ/١٩٣١م ،وكان ممثلا لإباضية المشرق فيه ..

إسهاماته الاجتماعية :

كان للشيخ بالإضافة إلى الجهود السابقة دور مشكور في العمل الخدمي والاجتماعي، وقد أسس مع صديقه الشيخ الخضر حسين جمعية الهداية الإسلامية ،وفي أواخر الخمسينيات وبداية الستينيات أصبح عضوا فعالا في جمعية تعاون جاليات شمال إفريقية، كما كان عضوا نشيطا في جمعية الشبان المسلمين التي كونها بعض أنصار الحركة الإسلامية بمصر ،ونصح أولاده بالانضمام إليها .

دوره في تأسيس الجامعة العربية وتفعيل نشاطها :

لقد كان الشيخ إطفيش من أوائل المناصرين لفكرة الجامعة العربية أملا في أن تنجح في توحيد شتات العرب تحت راية واحدة، وكان من الثلاثة الأوائل القائمين بالدعاية لتأسيس الجامعة العربية، مع الشيخ الأمير الحسيني والشيخ عبد العزيز الثعالبي.

وفي سنة ١٩٥٢م سعى لدى الجامعة العربية لتعترف بعمان ضمن أعضائها، وقد حاول في سنة ١٩٥٥ م بتكليف من الجامعة العربية الالتقاء بالإمام والسلطان داخل عمان، لكن الإنجليز حالوا بينه وبين دخول صحار.

ولقد لاقى في هذه الرحلة التي دامت حوالي ثلاثة أشهر أهوالا وعقبات شديدة، حيث كان الإنجليز له بالمرصاد، وأصدر حاكم الخليج المعتمد من جهتهم قرارا بالقبض عليه حيا أو ميتا.

مناصرته لعمان ضد الإنجليز :

كان العمانيون يجلون الشيخ لانتمائه إلى المذهب الإباضي، ولذا عين سفيرا لعمان الإمامية لدى الجامعة العربية، وكان قبلها عضوا نشيطا في مكتب إمامة عمان بالقاهرة، ثم أسند إليه الإمام غالب بن علي التعريف بقضية عمان في المحافل الدولية، والجامعة العربية، وفي بداية سنة ١٩٦١م، كلفه بعرض قضية عمان على هيئة الأمم المتحدة، فسافر إلى نيويورك رفقة الأمير حمير بن سليمان، ممثلا لدولة إمامة عمان، واجتهد في مقابلة الوزراء والسفراء يكشف لهم عن عمان الإمامية واعتداء بريطانيا على الإمامة، منتهكة حرمة استقلال عمان، رغم وجود معاهدة السيب لعام ١٩٢٠م.

وعرضت القضية في الجلسة الأولى لدى اللجنة السياسية، ثم في الجلسة الثانية، فحازت القبول بالإجماع.

رأيه في الخوارج :

وكما كان الشيخ إطفيش يكره الفرقة والاختلاف والعصبية للمذهب كان كذلك يكره التشدد والخروج على قواعد الإسلام الثابتة، وقد رد على الخوارج ومن يحملون أفكارهم ،وقال : « الخوارج طوائف من الناس في زمن التابعين وتابعي التابعين رؤوسهم: نافع بن الأزرق، ونجدة بن عامر، ومحمد بن الصفار، ومن شايعهم، وسموا خوارج لأنهم خرجوا عن الحق وعن الأمة بالحكم على مرتكب الذنب بالشرك».

ثناؤه على تفسير المنار الذي كتبه عالم السلف الشيخ رشيد رضا :

وقد أثنى على كتاب التفسير الذي كتبه الشيخ محمد رشيد رضا قائلا: ظهر في السنة الماضية الجزء التاسع من تفسير المنار، وفي هذه السنة ظهر الجزء العاشر منه ،وتفسير المنار من أسمى التفاسير وأوفرها ثروة ،وأشملها لحقائق من التفسير مفقودة من مناهج المفسرين ،وليس السيد مفسر المنار ممن يحشر ما هب ودب ويجمع ما يملأ الأوراق ،ويمتد إلى ترهات الإسرائيليات التي شوهت جمال كثير من الكتب ،وما ليس له علاقة بالتفسير ،إلا حب الاستكثار والولوع بالتخليط، حتى صار الكتاب أشبه ما يكون بقصص الرواة اليوم، وهو ما يجب أن ينزه عنه تفسير كلام الله ،ولكنه - والحق يقال - تفسير ممتع بطلاوته ،مبدع في أسلوبه، جامع في إلمامه بمقتضيات الآية ،مع الإيجاز في مقام الإيجاز، والإطناب في مقام الإطناب ،إذا مررت بآية في سنن الكون رأيته يدني إليك من الحقائق ما يسحر ،أو بآية في سنن العمران رأيت بين يديك من الدقائق ما يبهر ،أو بآية التوحيد رأيت من تحبير وتحرير ما يغنيك عن طائفة من الكتب ،مع استقلال في البحث والترجيح، أو بآية في الفقه وأصوله أوقفك على ما يأخذ بتلابيبك ،مالكًا لك

من جوانبك ،أما تحقيقات البلاغة فهي السحر الحلال ،لست ترى في أسلوب هذا التفسير المبتكر خروجًا عن منهاج العربية، وعما تقتضيه الآيات الكريمة وتبينه الأحاديث النبوية ،أما آيات مخاطبة الأمم ودعايتها إلى الهداية الإسلامية فإصداع وإقناع وإشباع بالحق والحجة ،والأدلة التي يسلِّم بها الخصم .

علاقته بعلماء السنة في الجزائر :

وكان ـ رحمه الله ـ على علاقة وثيقة طيبة بعلماء أهل السنة بالجزائر، وخاصة الشيخ ابن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين، وكان حريصا على الالتقاء به غداة زار الجزائر - بعد غياب سنوات في منفاه- فَتواعدا على الالتقاء في مدينة قالمة ..

وقد أشاد (أي الشيخ ابن إطفيش) بهذا اللقاء في مراسلة للشيخ أبي اليقظان، وما دار بينهما من التباحث في مستقبل التعاون بين الإصلاحيين، وإصلاح ذات البين بين الطائفتين، وقد نوه بمساعي الشيخ ابن باديس في هذا السبيل.

هذا ولم تكن علاقة الشيخ ابن باديس قائمة على المودة مع الشيخ إطفيش فقط ، وإنما تأصلت هذه العلاقة الأخوية الحميمة مع كل علماء وأدباء وادي ميزاب الإباضية بعد تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، التي كانت فرصة مثالية للتلاقي والاجتماع والتشاور والتعاون الميداني الفعال. (د . محمد صالح ناصر : الشيخ ابن باديس وعلاقته بالحركة الإصلاحية بوادي ميزاب)

بل يرجح أن تلك العلاقة الحميمة بين الإباضية وأهل السنة في الجزائر كانت موجودة قبل نشأة جمعية العلماء المسلمين ، حيث ذكر أحد الباحثين « أن الفترة ١٩١٩-١٩٣١ كانت فترة تلمس الطريق نحو هدف قومي وطني موحد...وفي تونس كان أول لقاء جمع بين ابن باديس وأبناء وادي ميزاب في دار بعثتهم التي كان يترأسها كل من أبي اليقظان، وإطفيش إبراهيم، ومحمد الثميني، وكان ذلك سنة ١٩٢١، وقد تركت هذه الزيارات أثرا بالغا في نفس ابن باديس، إعجابا واستبشارا وتفاؤلا بتلك النهضة الثقافية التي بدأت سنة ١٩١٣م (د . محمد ناصر : الشيخ عبد الحميد بن باديس وعلاقته بالحركة الإصلاحية بوادي ميزاب).

ثناء العلماء عليه :

وقد أثنى عليه كثير من العلماء المعاصرين له ، منهم :

ـ العالم السلفي الشيخ محب الدين بن الخطيب الذي قال عنه :هبط صديقنا الأستاذ العلامة الشيخ إبراهيم إطفيش وادي النيل مهاجراً إليه من وطنه الجزائر من قبل أن يولد الفتح (يقصد مجلة الفتح) ،واكتسبنا صداقته من السنة الأولى التي اتخذ فيها الوطن المصري وطنا ثانيا له، فكنا نحن وجميع أفاضل المصريين نعجب بصدقه وصلابة دينه واستعداده للمشاركة في كل خير،فما قامت لخير الإسلام جماعة من ذلك الحين،ولا أرسل المنادون إلى الفلاح صوتهم في أمر،إلا كان الأستاذ أبو إسحاق إبراهيم إطفيش في مقدمة المعينين على ذلك ،ومقالاته المتعددة في الصحف شاهد على فضله،ودليل على حسن بلائه في سبيل وحدة المسلمين ، جزاه الله خيراً.

ـ والإمام ابن باديس الذي قال عنه في معرض الإشادة بأبناء الجزائر الذين نبغوا في الخارج والتعليق على مجلة المنهاج بأن ذلك «دليل قاطع على رقي الفكر الجزائري، وقبول الأمة الجزائرية الرقي بسرعة إذا واتتها الظروف». ثم وصفه بأنه «العالم المفكر» الذي نفته فرنسا إلى تونس، ثم نفته كرة أخرى إلى مصر، فكأنها أثبتته، كما قال له صديقه المجاهد أبو اليقظان، إذ «نفي النفي إثبات» كما يقول النحاة.

ـ وقال عنه المؤرخ الجزائري أحمد توفيق المدني في مذكراته «حياة كفاح» : «وأما الشيخ إبراهيم إطفيش فقد كان ـ رحمه الله ـ عالما لا يشق له غبار ،وشخصية عالية جديرة بالاحترام والاعتبار، ورث من جده الكريم صيت العلم ورحابة العمل ،وضخامة المركز الاجتماعي ،واكتسب بجهده وكفاحه وعنائه المتواصل علما واسعا ،وأدبا رفيعا ،وثقافة عالية يغبط عليها ،وكان ـ رحمه الله ـ صارما في دينه ..... وكان محجاجا ،حاضر البديهة ،قوي العارضة، رأيته من بعد في مصر يتألق لمعانا بين علمائها ومفكريها ... ويحبه القوم من أجل ذلك وتزداد مكانته في نفوسهم» .

ـ وقال عنه الشيخ رشيد رضا :الأستاذ الشيخ أبو إسحاق إبراهيم آل يوسف إطفيش الجزائري من علماء المسلمين العصريين الذين يلقبهم المنار بحزب الإصلاح المعتدل ، أي : الذين يدعون إلى الجمع بين هداية الدين الحق اعتقادًا وأدبًا وعملاً وبين ما يتفق معها من مدنية العصر المبنية على قواعد السيادة والاستقلال والقوة العسكرية والثروة ..

ـ وقال عنه الدكتور الذهبي في كتابه: نشأ بين قومه، وعرف عندهم بالزهد والورع ،واشغل بالتدريس والتأليف وهو شاب لم يتجاوز السادسة عشرة من عمره ،وانكب على القراءة والتأليف حتى قيل: إنه لم ينم في ليلة أكثر من أربع ساعات ،وله من المؤلفات في شتى العلوم ثروة عظيمة .. أكثر من ثلاثمائة مؤلف.

وفاته:

وبعد حياة حافلة بالعطاء والكفاح والجهاد توفي الشيخ بالقاهرة يوم ٢٠ شعبان ١٣٨٥هـ/ ٢٦ ديسمبر ١٩٦٥م، وصلى عليه في جامع المطرية الشيخ محمد المدني عميد كلية أصول الدين بالأزهر الشريف، وشيعت جنازته بحضور كثير من العلماء ورجال الفكر في مصر، وووري جثمانه في مقبرة آل الشماخي بالقبة في القاهرة ، كما أوصى.

الحضارة الإسلامية في شرق إفريقيا

قراءة في كتاب انتشار الإسلام في الحبشة آثاره وأبعاده للشيخ محمد حامي الدين الإثيوبي

إعداد: د. محمد تاج العروسي

منذ فجر الإسلام نشأت في شرق إفريقيا (الحبشة) حضارات وثقافات إسلامية عريقة؛ حيث تأسست ممالك وسلطنات إسلامية منذ القرون الأولى أطلق عليها المؤرخون «سلطنات الطراز الإسلامي». ولا يزال أثر هذه السلطنات باقياً إلى يومنا هذا؛ متمثلا في المدن الكبيرة مثل مدينة «هرر» التي تعتبر عاصمة الثقافة الإسلامية، ومركز التطور العمراني، ومنشأ الخطوط العربية، ومنبع الحلقات العلمية، ومنطلق المراكز الدينية، والمساجد المزخرفة بألوانها الزاهية رغم تغير الأنظمة الحاكمة، وتحول المنطقة في العصور المتأخرة إلى صراع بين الإسلام والكفر، والحضارة الإسلامية والغربية، وبذلت الكنائس الغربية جهودا جبارة لجعل الحبشة دولة يغلب عليها طابع المسيحية في مظهرها ومخبرها.

والكتاب موضوع القراءة صدر حديثا بعنوان: (انتشار الإسلام في الحبشة أبعاده وآثاره) لمؤلفه شيخ محمد حامي الدين، وهو أحد علماء الحبشة المشهورين الذين لهم جهود مضنية لتثقيف المسلمين بالثقافة الإسلامية من خلال دروسه في الحلقات العلمية، ومحاضراته المتنوعة عبر وسائل الإعلام المرئية والمقروءة، مثل قناة إفريقيا الفضائية « إفريقيا تِـيْ فِـيْ الأول Africatv١» ووسائل الاتصال المعاصرة، « بالتوك، ووات ساب...»، وقلمهِ السيال في التأليف والتحقيق.

يتناول الكتاب مسيرة الإسلام والمسلمين في شرق إفريقيا وبناء الحضارة الإسلامية ونشر الثقافة الدينية، وتأسيس الممالك المسلمة، وكذلك مسارات الأحداث الممتدة على طول القرون زمنيا، وعلى تخوم المحيط الهندي ومشارف بلاد الأمحرة مكانيا. وهو بذلك يعتبر إضافة حقيقية للمكتبة العربية التي تعاني شحًّا كبيرا في المصادر العربية والإسلامية التي تتحدث عن القرن الإفريقي الذي يشكل صمام الأمان والمدخل الجنوبي الذي يتحكم في الأمن القومي العربي، سوى بعض الكتب التي ألفها المستشرقون ومن سار في نهجم من الكتاب العرب وغيرهم ومعظمها لا تنصف المسلمين.

محتوى الكتاب: قسم المؤلف الكتاب إلى مقدمة وتمهيد وأربعة أبواب وخاتمة .

المقدمة : فيها هيكل البحث وأسباب اختيار الموضوع وخطته.

التمهيد: تناول فيه العوامل التي ساهمت في اختفاء فصول من تاريخ المسلمين في الحبشة وتشويه أخرى وهي : «الانتقائية، والإهمال، والتشويه، والتفسير المعوج للتاريخ».

ويقصد بالانتقائية (Selection) تناول الكُتَّاب بعض فترات التاريخ دون أخرى، وكذلك بعض الأماكن والمدن فقط، فتحدثوا مثلا عن الفترة ما بين القرن الرابع إلى القرن السابع الميلادي، وما بين القرن الثالث عشر إلى القرن السادس عشر الميلادي. فالفترة الأولى هي التي دخلت فيها النصرانية إلى الحبشة، والثانية هي التي قامت فيها مملكة أمحرة. ومن الأماكن كتبوا عن مدن «أَكْسُوْم، ولَالِيْبَلاَ، وغَوْنْدَر»، ومن الآثار آثار الكنيسة الأرثوذكسية، وأغفلوا ما عدا ذلك.

أما الإهمال (Omission) فيقصد به عدم التعرض للأخبار المتعلقة بتاريخ السلطنات الإسلامية في الحبشة، أو الإشارة إليها إشارة عابرة.

أما التشويه (Distortion) فيقصد به تشويه فترة من فترات التاريخ، أو إبرازها بصورة سلبية، كما حدث للفترة ما بين القرنين السابع والثالث عشر، فوصفوها بـ (العصور المظلمة) (The Dark Ages) علما بأنها كانت فترة مهمة في تاريخ المسلمين في الحبشة.

أما التفسير المعوج للتاريخ (Interpretation or Misinterpretation etc) فيقصد به عرض التاريخ عرضًا مرتبطًا بالديانة الأرثوذكسية، فقط حيث تُصَوَّر النصرانية على أنها أهم ركيزة في تاريخ إثيوبيا (The Essential Part of Ethiopian History) والتعبير عن المسلمين بـ « المقيمين في إثيوبيا» بدلا من مسلمي إثيوبيا.

أما الباب الأول: فتحدث فيه عن الحبشة بمفهومها القديم والحديث، وعن مناخها وتضاريسها، وأنهارها وجبالها، وشعوبها وثقافاتها، وأديانها، ومعارفها وفنونها وآدابها.

وذكر أن كلمة الحبشة عربية، تحرفت عند الأوروبيين إلى «أبيسينيا» (Abyssinia) و أطلقت على سكان المنطقة بعد أن بدأت الهجرة إليها منذ القرن السابع قبل الميلاد.

أما لفظ (إثيوبيا) فلفظ قديم ورد ذكره في كثير من الكتابات الإغريقية القديمة، وفي المراجع التاريخية والدينية، ومنها العهد القديم. ومعناه بلسان الإغريق (الوجه المحروق أو البُنّي اللون)؛ لأنهم سود الوجوه، أو لأنهم سمر اللون. ثم أطلقه المؤرخون على جميع الشعوب التي يتدرج لونها من السمرة إلى السواد بمن فيهم الزنوج، أي على عموم سكان القارة الإفريقية جنوب الصحراء وأعالي النيل موطن الجنس الأسود من البشر.

وقُسِّم سكان إثيوبيا إلى أصلين عظيمين:

الحامي (Hamitic) وهم سكان الحبشة الأصليين.

و السامي (Samitic) وهم المهاجرون من جنوب الجزيرة العربية.

وتندرج تحت كل منهما قوميات، وقبائل متعددة، وأشار إلى وجود ثماني لغات سامية (وهي الجعزية، والتجرينية والتجرية، والأرغوبية، والأمحرية، والغوراغية، والهررية، والغافاتية)، وأربع وعشرين لغة كوشية: ثمان منها شديدة التقارب فيما بينها منها اللغة الأورومية. أما الديانات في الحبشة، فأقدمها الوثنية التي يدين بها سكان الحبشة قبل أن يتحول معظمهم إلى «اليهودية، والنصرانية، أو الإسلام»، وذكر هجرتي الصحابة وأثرهما في انتشار الإسلام، ثم تكلم عن وفود الحبشة التي قدمت إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وهو في مكة، ثم في المدينة، وإكرام النبي صلى الله عليه وسلم لهم حيث خدمهم بنفسه، قائلا: «إنهم كانوا لأصحابي مكرمين، وإني أحب أن أكافئهم». وذكر الآيات، والأحاديث التي وردت في شأن الحبشة وهي إحدى عشرة آية، وثلاثة وعشرون حديثًا معظمها صحيحة، أو حسنة.

فمن الآيات قوله تعالى: (الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته ...) البقرة ١٢١، وقوله: (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ...) آل عمران ٦٤، وقوله (ليسوا سواءً من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل ...) آل عمران ١١٣، وقوله: (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود، والذين أشركوا ولتجدن

أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ...) المائدة ٨٢.

• ومن الأحاديث حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وفيه قوله صلى الله عليه وسلم (ألا تحدثوني بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة ...) وحديث أنس أنه قال: «لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة لعبت الحبشة لقدومه بحرابهم فرحا بذلك» وحديث «الخلافة في قريش، والحكم في الأنصار، والدعوة، « أي الأذان في الحبشة ...».

وتكلم عن الفنون المعمارية، والثقافية التي تدل على قدم الفن المعماري في إثيوبيا مثل المسلات التي شيدت في «أَكْسُوم، وكَنَائِسَ لَالَيْبَلاَ المنحوتة داخل الجبال، والسور المحيط لقصور فاسِيْلاَدِيْس في غَوْنْدَر، ومَدِينةِ هرر، ومساجدها، وبيوتها الأثرية وصناعة النسيج، والسجاجيد الفاخرة، والخطوط العربية المتعددة المتصفة بالجمال والروعة، والأختام المتعددة التي تختم بها دوائرها الإدارية والقضائية، والنقود الهررية «محلق»، والمصاحف بمختلف الروايات، والمخطوطات الفقهية في المذهبين الشافعي والحنفي، وفي اللغة العربية والسيرة النبوية، وغيرها من المؤلفات والآثار الإسلامية، والفنون الأدبية، والشعر الإسلامي المديح والمغازي».

أما الباب الثاني فيشتمل على علاقة الحبشة بجزيرة العرب عرقيًا وثقافيًا ولغويا وسياسيا، والأدوار التي مرت بها هذه العلاقة منذ ما قبل الميلاد إلى يومنا هذا، وروابط التاريخ المشترك بين الساحلين العربي والإفريقي، وبين اليمن والحبشة من عصور ما قبل الميلاد.

وكذلك العلاقة اللغوية والثقافية بين إثيوبيا والجزيرة العربية، وضرب أمثلة بكلمات في القرآن الكريم قيل إنها حبشية في الأصل، وذكر أقوال العلماء في ذلك، ورجح ما جنح إليه الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام من أن الصواب أن هذه الأحرف أصولها أعجمية كما قال الفقهاء، لكنها وقعت للعرب فَعرَّبتْها بألسنتها، وحَولَتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها، فصارت عربية ثم نزل القرآن، وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب، فمن قال إنها عربية فهو صادق، ومن قال إنها أعجمية فهو صادق، ومال إلى هذا القول معظم المفسرين.

وأورد حوالي ثمان وعشرين كلمة وردت في القرآن مع بيان معناها باللغة الحبشية، مثل كلمة: الجِبْتِ فهو اسم الشيطان بلغة الحبشة، والطَّاغُوت فهو الكاهن بالحبشية، وحُوْب في قوله تعالى: «إنه كان حوبا كبيرا» قال السيوطي: فهو الإثم الكبير بلغة الحبشة، وأوَّاه عن ابن عباس أي الموقن بلسان الحبشة إلى آخر ما ذكره مثل: «غِيض، وابلعي، ومتكأ، وطُوبى، وطه، وحرام في قوله تعالى: «وحرام على قرية أهلكناها»، والسِّجل، والمشكاة، ومنسَأة ، ويس، وأوَّاب، والعرم، ويصدُّون وكِفلَين، ونَاشئة، ومُنفَطِر، وقَسْورة، والأرائك، ويَحور، سينين... ذكرها كل من الإمام السيوطي وابن الجوزي».

وذكر ألفاظًا لم يذكرها المؤرخون، مثل: سَنا بمعنى الحسن، «يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار»، ومَلَكُوت، ومُنَافِقُون، والحَوَارِيُّون، وجَهَنَّم، وصَلاَة، والتَّابُوت، وبُرْهَان وحَصب، والْفِرْدَوس، والمَاعُوْن.

أما الألفاظ الواردة في السنة مما قيل إنها حبشية الأصل فكثيرة منها سَنَا، وفي الحديث « سنا يا أم خالد» أي حسنا، وفي رواية «فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَمْسَحُ الأَعْلاَمَ بِيَدِهِ وَيَقُولُ: «سَنَاهْ سَنَاهْ» يعني حسن حسن، وهَرج أي القتل، وزَفَن، وفي الحديث: «وَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ذَقْنِي عَلَى مَنْكِبَيْهِ لِأَنْظُرَ إِلَى زَفْنِ الْحَبَشَةِ» والسور، وهو الطعام بلغة الحبشة، وفي الحديث: «... إِنَّ جابِراً قَدْ صَنَعَ سُؤْراً فَحَيَّ ... »، والنجاشي، والدبر، وأبرهة، والقنين، والسمهرية، وهي نسبة إلى سمهر قرية بالحبشة بها صناع الرماح السمهرية، «لم أذكر الأحاديث التي وردت فيها هذه الكلمات بكاملها مخافة الإطالة».

ثم تكلم عن أثر اللغة العربية على اللغات الحبشية، وأن ذلك يفوق تأثيرها على اللغات الأخرى، وذلك بسبب الجوار بين الحبشة والجزيرة العربية، ونزوح كثير من القبائل العربية إليها، وهجرات المسلمين إلى الحبشة، وقيام الممالك الإسلامية في جنوب الحبشة، والحركات التجارية بين الجزيرة والحبشة، ووجود الجاليات العربية التي كانت استقرت في الحبشة بعوائلها مع احتفاظها بلغتها وثقافتها، وخاصة الجالية اليمنية.

وتكلم كذلك عن تأثير اللغات الحبشية على اللغة العربية، وقال: إن هذا الجانب يغفله كثير من الباحثين في مجال صلة العربية بغيرها من اللغات، ... قال: ومن الطبيعي أن تكون في اللغة العربية مفردات من اللغات الحبشية ولا سيما ذوات الأصول السامية التي تنحدر مع العربية من شجرة واحدة، كيف لا والحبشة أقرب البلاد المجاورة للجزيرة العربية وألصقها بها رحمًا من حيث إن كلا منهما ينحدر على ما قيل من اللغة السامية الأم إضافة إلى استمرار الاحتكاك بين العربية الجنوبية واللغة الحبشية من خلال احتلال الحبشة لبلاد اليمن، وضمها إلى مملكة أكسوم لفترات من الزمان.

وقسم هذه المفردات حسب وجودها في اللغتين إلى ثلاثة أقسام:

الأول: ما كان من قبيل المشترك اللغوي.

الثاني: ما أخذه العرب من اللغة الحبشية.

الثالث: ما ورد في القرآن مما قيل إنه حبشي الأصل.

ثم تكلم عن تأثير الأدب الحبشي على الأدب العربي القديم، ولخص سبب ذلك فيما يلي:

• الاتصال الوثيق لشعراء العرب وأدبائهم بالبيئة الحبشية.

• وجود شعراء من الأحباش في قلب الجزيرة نبغوا في العربية ونظموا بها الشعر.

• كون مدينة نجران من معاقل النصرانية الحبشية في تلك الفترة،

وكان لها أثر واضح على فنون الأدباء والخطباء، وضرب مثالا بقس بن ساعدة الإيادي أسقف نجران المشهور، كان خطيبًا مصقعًا ينتحي في خطبه منحى الخطب الحبشية في حكمها وسجعها وذيولها.

ثم تكلم عن المشترك اللغوي بين اللغة العربية واللغات الحبشية وقسمه قسمين:

أحدهما: ما لم يتغير فيه شيء في كلا اللغتين.

والثاني: ما فيه تغير إما في الصوت، أو الشكل، أو غيرهما.

فمن القسم الأول « الدِمة» بكسر الدال الهرة، و« الوَين» بفتح الواو هو العنب، الأسود، والعنبَسَّة، وهو الأسد، والفرس، والرأس، والقلب، واللب، والنفس، والروح، والقدوس، واللسان ، والفاس، ووَدق بمعنى سقط، و«ملَصَ» بمعنى ولى هاربا و«قَلَص» و«السلام» و«الدّويّ» بمعنى المرض و«الطّلّة» بمعنى الخمرة و«العرَقِيّ» نوع من الخمور و«الصوف» و«الزيت» و«البيت» و«الحق» و«لبس» و«الحوالة» و«الشر» و«الذرية» و«الموز» و«العالَم» و«الحساب» و«سرق» و«الوكيل» و«الشرك» و«تقبل» و«الجمل» و«الحَزَن» و«السوق» و«المركب» و«الكوكب» و«قدم» و«تقدم» و«قرب» و«تقرب» و«أنت» ضمير مخاطب و«الخطية» بمعنى الذنب و«الإبريق» و«البراد» و«العقبة» و«السن» و«الزمن» و«التاريخ» و«الساعة» و«بكر» و«الجمل» و«سحل» بمعنى شحذ الحديد ونحوه بالمبرد و«ركّب» و«الموت» و«الود» و«ورقة».

ومن القسم الثاني: كلمات من قبيل المشترك اللغوي، أي المنحرف من العربية قليلا، وهي أكثر من المتوافقة تماما منها بالعربية، فمن أمثلتها «عُنُق، وبالأمحرية « عنَقَت « و«يد» وبالأمحرية والجعزية «إد» و«قتـــل» وبالأمحريـــــة «قـــدّل» و«بلع» وبالأمحرية «بلّا» و«الضرس» وهي بالأمحرية هكذا إلا أن الضاد قريبة من الطاء والليل بالأمهرية «لَيْلِتْ» وشيطان وهي بالأمحرية سيطان بالسين وظفر وتنطق طِفْر، والبعل بالأمحرية تنطق «بال»، المثال وبالأمحرية مِسَّالي والخزينة وهي كازنا، والبحر وتنطق بهار، و«التذكار» وتنطق تزكار، و«الإرث» وتنطق «ورس» و«الرصاص» وتنطق إرساس».

ثم تكلم عن الكلمات المعربة من اللغة الحبشية مما ليس لها اشتقاق في العربية مثل كلمة « مِنْبَر» التي فعلها نَبَر أي جلس، ولا اشتقاق للمنبر في العربية ، وكلمة « مُصْحَفْ» استعيرت هذه اللفظة من الحبشية لخفتها وجريانها على قوانين خطابهم.

ثم تكلم عن شعراء العرب من ذوي الأصول الحبشية وآثارهم الأدبية، منهم عنترة بن شداد بن قواد، وخفاف بن ندبة، وسُليك بن السَّلْكة، ونصيب بن رباح مولى عبد العزيز بن مروان، والحيقان، وسحيم بن عبد الحسحاس، وأبو دلامة زند بن الجون صاحب النوادر والفكاهات، وعكيم الحبشي شاعر مبدع قيل: إنه أفصح من رؤبة بن العجاج، وكان علماء الشام يأخذون منه، وذكر نبذة من سيرتهم وشعرهم، وكلهم يعتبرون من فرسان العرب المشهورين، وشعرائهم المرموقين.

وذكر صلة عرب الحجاز وزعماء قريش بمملكة الحبشة سياسيًا، وثقافيًا، واجتماعيًا، ودينيًا، واقتصاديا، وضرب أمثلة لكل ذلك، وقال: إن مما يؤكد متانة العلاقة الاجتماعية أن كثيرًا من رجال قريش المشاهير تزوجوا من حبشيات فأنجبن لهم أولادًا كان لهم مكانة رفيعة في مجتمعهم في العهدين الجاهلي والإسلامي، عد منهم أبو الفرج ابن الجوزي «سبعة وثلاثين» اسما من الأسماء اللامعة، وابن حبيب وابن قتيبة ذكرا أكثر من ذلك، والمصنف اقتصر على من ذكرهم ابن الجوزي، ووضع لهم جَدْولا فيه الاسم والطبقة والملاحظات.

وختم هذا الباب بذكر حكم الحبشة لليمن في العهد الوثني، وأسبابه، وغزواتها لليمن في العهد النصراني وأسبابها، وتأثير هذه الغزوات في اللغة والثقافة والتاريخ، حيث ترك الاحتلال الحبشي لليمن بصمات واضحة في جميع الأصعدة السياسية، والاجتماعية والثقافية. وذكر أن من أقوى الآثار الحبشية على اليمن أنهم نشروا النصرانية فيها، وبنوا كنائس كبيرة وتركوا تأثيرًا لا ينكر.

الباب الثالث: تناول فيه هجرة الصحابة إلى الحبشة، وعوامل اختيارها، وعدد المهاجرين وأساميهم، والآثار المترتبة على ذلك، والصحابة الذين هم من ذوي الأصول الحبشية، وتحدث عن النجاشي وسيرته، والرسائل والهدايا المتبادلة بينه وبين الرسول صلى الله عليه وسلم، وعن وفاته وصلاة النبي صلى الله عليه وسلم عليه صلاة الغائب، وعودة الصحابة إلى مكة المكرمة أولا، ثم المدينة المنورة ثانيا، ثم ذكر الصحابة من ذوي الأصول الحبشية.

الباب الرابع: سلط الضوء فيه على نشأة ممالك الطراز الإسلامي في الحبشة ودواعي نشأتها وعوامل سقوطها، وحلقات الصراع الطويلة التي جرت بينها وبين الممالك النصرانية وقسوة الممالك النصرانية على رعاياها المسلمين، والنـزاع المذهبي بين الكاثوليك والأرثوذكس، والصراع العسكري بين الممالك الإسلامية ومملكة الحبشة على طول التاريخ. ثم تكلم عن الفتوحات الإسلامية في العهود المختلفة، وتاريخ الحركة الجهادية التي قام بها الإمام أحمد بن إبراهيم المعروفة بفتوح الحبشة بمراحلها المتعددة، وأوضاع المسلمين بعد تلك الفتوحات إلى اليوم.

وتكلم عن معاناة المسلمين في العهود السابقة واللاحقة بدءًا من الملك «تيدورس»، ومرورًا بالحكام المتعصبين للمسيحية والمعادين للإسلام «يوحنا، ومنلك وهيلا سلاسي»، وانتهاء بالشيوعية، وأشار إلى الحكومة الحالية التي حلت محل الشيوعية، مع ذكر بعض ما تحقق للمسلمين في عهدها، والجوانب التي تحتاج إلى معالجتها .

وفي الخاتمة: تناول أهم النتائج، والتوصيات، وأهم ميادين البحوث لمن يريد القيام بها، ووضع ملحقًا للخرائط.

منهج القرآن الكريم في تنمية العمليات العقلية المعرفية (٢/ ٣)

د. حياة عبدالعزيز محمد نياز

جامعة أم القرى ـ مكة المكرمة

اهتم القرآن الكريم اهتماماً بالغاً بتنمية العمليات العقلية التي هي من أهم وظائف ومظاهر القدرات العقلية التي يتميز بها الإنسان عن الحيوان، ويمكن تلخيصها في عملية الإدراك، وعملية التفكير وعملية التذكر.

١- الإدراك: يهتم القرآن الكريم بتنمية عملية الإدراك؛ لأهميته في النمو العقلي السليم للإنسان، فهو أساس التعلم الصحيح، والفهم الواعي، والتمييز السليم، فبه يتمكن الإنسان من فهم نفسه، وبيئته، والكون الذي يعيش فيه، وتكوين الاتجاهات السليمة، واتخاذ المواقف الصائبة تجاه جميع الأمور المتعلقة بحياته.

ولقد كرم الله عز وجل الإنسان بأن خلقه مزوداً بالأدوات المعرفية التي تساعده على عملية الإدراك، قال تعالى: (وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (النحل:٧٨). فالآية صريحة في الدلالة على أهمية الحواس كطريق للمعرفة وتكاملها مع الأفئدة وهي (العقول) حتى يتعلم الإنسان، ويكتمل بناؤه المعرفي والعلمي. وقد جعل الله عز وجل الإنسان مسؤولاً عن استخدامه لأدوات المعرفة حسية كانت أم عقلية، وجمع بينها في آية واحدة؛ لتأكيد هذه المسؤولية مما يبرز تكامل الحواس والعقل (إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً) (الإسراء:٣٦).

وبتتبع منهج القرآن الكريم في تنمية عملية الإدراك العقلي للحصول على المعرفة نجد أنه حدد في مجالات منها:

أ - المجال الكوني: فكل ما في هذا العالم مجال للإدراك العقلي ومعرفته من أرض وسماء وجبال وأنهار، وبحار ورياح، قال تعالى: (أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ... الآية). وقال تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ... الآية) (النور:٤٣-٤٥).

إن هذا الإدراك العقلي في القرآن الكريم «يتوجه إلى عالم الشهادة، فيدركه، ولكن لا من قبيل إدراك المادة للمادة أو الشبيه للشبيه، بل يدركه بسر روحي فيه هو العقل أو الفؤاد أو القلب مع الحس . ويتوجه إلى عالم الغيب، إذ هو حلقة الوصل بين عالم الشهادة وعالم الغيب فيدرك بهذا العقل أن الله سبحانه خالقه وأنه واحد أحد سبحانه لا شريك له، فهو بهذا يسلم من خلال نظره في عالم الشهادة وقوانين عالم الشهادة ، وما أوتي من عقل وتفكير وتدبر وتذكر، بوجود عالم الغيب فتتحقق له الميزة المعرفية على سائر الموجودات». (نظرية المعرفة بين القرآن الفلسفة لراجح الكردي، ص ٦٢٨).

ب - المجال النفسي: النفس الإنسانية هي المجال الثاني للعملية الإدراكية، حيث يوجه القرآن الكريم الإنسان لإدراك مراحل وجوده، والعلاقة بين هذه المراحل، إذ أن لهذه المراحل صفة الارتباط ارتباطاً يوحي بفكرة أن له خالقاً خلقه، وبالتالي فهو قادر على إماتته وبعثه مرة أخرى. قال تعالى: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخاً وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلاً مُسَمّىً وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) (غافر: ٦٧).

ج - المجال المكتوب: وكتاب الله مجال آخر من مجالات تنمية الإدراك العقلي، فقد وجهت الآيات القرآنية إلى فهم الآيات القرآنية والعلم بها. قال الله تعالى في مدح من يعملون عقولهم في هذا المجال: (وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الأَلْبَابِ) (آل عمران :). وقال تعالى: (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) (الأنعام:١٥١)، فالذين يعقلون هم الذين يدركون الحلال والحرام، أي الذي يميزون بين أوامر الله تعالى ونواهيه.

د - مجال الحقائق والمسلمات: دعا القرآن الكريم إلى التأمل في الحقائق والمسلمات التي لا جدال فيها والتي منها إعجاز القرآن التام. قال تعالى: (وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِنْ قَبْلِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ) (يونس:١٥-١٦). فهذه الآيات تبين وتوضح أن القرآن الكريم ليس من عند محمد صلى الله عليه وسلم، وإنما هو تنزيل من رب حكيم، فقد مكث المصطفى صلى الله عليه وسلم أربعين سنة قبل أن يبعث وينزل القرآن عليه لا يتلو شيئاً منه ولا يعلمه، فمن عاش أميّاً أربعين عاماً لا يستطيع أن يأتي بمثل هذا القرآن المعجز في بلاغته وفصاحته وتشريعاته وأحكامه وعلومه.

هـ - مجال السنن الاجتماعية: من مجالات تنمية الإدراك العقلي

السير في الأرض وملاحظة آثار المجتمعات الإنسانية، وأخذ العظة والعبرة منها، وذلك بالربط بين الأسباب والنتائج، ومن خلال سماع القصص الدالة على مصارع الغابرين نتيجة انحرافهم عن منهج الله، قال تعالى: (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلا تَعْقِلُونَ) (يوسف:١٠٩).

٢- التفكير: وهو مجال آخر من مجالات تنمية الإدراك العقلي للإنسان، وهو عملية عقلية أعمق وأشمل من الإدراك؛ لأنه يبحث في علاقة الشيء المدرك بالمدركات الأخرى التي حوله، والتي يتأثر بها ويؤثر فيها، وهي من أهم وظائف العقل البشري التي تمكنه من الفهم والحكم والاستنباط والاستقراء والقياس وإصدار الأحكام الصائبة.

وقد جاء الأمر بالتفكر وإعمال العقل في كثير من الآيات القرآنية مقروناً ببعض الأساليب التربوية المقنعة كالقصة، وضرب المثل، كقوله تعالى: (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) (الأعراف: ١٧٥-١٧٦)، أو مقروناً بالتهديد والوعيد، وكثيراً ما تبدأ هذه الآيات بالسؤال الاستنكاري كقوله تعالى: (أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفاً مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ) (سبأ:٩).

وقد حذرت الآيات القرآنية من تعطيل العقل عن عملية التفكير؛ لأنه «يتدنى بالإنسان إلى مرتبة السوائم، ويقيم الحجة على نفسه، فقد أعطاه الله تعالى الإرادة والاختيار، وحمله المسؤولية في تنمية تفكيره وتسخيره في ما يصلح دينه ودنياه، وهو محاسب على تعطيله أو استغلاله في الخير أو الشر، وفي سبل الهداية أو الضلال. قال تعالى: (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالْأِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ) (الأعراف:١٧٩). فقد عطلوا هذه الأجهزة التي وهبوها ولم يستخدموها ... بل عاشوا غافلين لا يتدبرون «. سيد قطب ، في ظلال القرآن ، م٣، ص١٤٠١.

كما حددت الآيات القرآنية مجالات تنمية الفكر ومنها:

أ - مجال الكون النفسي: التفكر في المشاهد الكونية وأسرار النفس الإنسانية، قال تعالى: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) (آل عمران:١٩٠-١٩١)، ففي هذه الآيات وأمثالها دعوة صريحة إلى التفكر وإعمال العقل في السماوات والأرض، وفي جميع المخلوقات، وجميع الظواهر الكونية، والتفكر في النفس لمعرفة أسرارها البيولوجية والنفسية لمعرفة قدرة الخالق وتعميق الإيمان به في النفس.

ب - مجال السنن الاجتماعية : فعلى الإنسان التفكر في السنن الاجتماعية وظاهرة الازدواج في الخلق والاجتماع ، قال تعالى: (وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَاراً وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (الرعد:٣).

ج - الحقائق والمسلمات: ينبغي التفكر في الحقائق والمسلمات المطلقة، كالتفكر في قدرة الله في الحياة والموت، فهو الذي يقبض الأرواح حين انتهاء أجلها، وهي الموتة الكبرى، وهو الذي يرسل الروح إلى الأجساد بعد نومها بأن يعيد إليها إحساسها، ويبقيها على قيد الحياة إلى أجل معين، وفي ذلك علامات باهرة لقدرة الله لمن يتفكر ويتأمل ويتدبر في ذلك . قال تعالى: (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (الزمر:٤٢).

وللتفكر في القرآن الكريم صور مختلفة باختلاف الهدف الذي ترمي إليه الآيات القرآنية في دعوته للإنسان إلى التفكر، من تلك الأهداف:

أ - إثبات شيء بشيء أو نفيه عنه وهو الحكم، كما في قصة داود وسليمان عليهما السلام مع صاحب الحرث الذي نفشت فيه غنم رجل آخر. قال تعالى: (وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ * فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً) (الأنبياء:٧٨-٧٩). وقد كان حكمهما في القضية «اجتهاداً منهما وكان الله حاضراً حكمهما، فألهم سليمان حكماً أحكم، وفهمه ذلك الوجه وهو أصوب».

ب - « تتبع الجزئيات كلها أو بعضها للوصول إلى حكم عام يشملها جميعاً»، وهو ما يسمى بالاستقراء، وقد استخدم القرآن الكريم الاستقراء على نطاق واسع، إذ إن دعوة القرآن للنظر في مخلوقات الله على اختلاف أنواعها لمعرفة كيف بدأ الله الخلق، وتتبع جزئياتها، ودراسة كيفية تركيبها ووظائفها والعلاقات بينها ومقارنة بعضها مع البعض الآخر يصل العقل الإنساني إلى القاعدة الكلية التي تنطبق على هذه الجزئيات والتي تبين له كيف بدأ الله الخلق، قال تعالى في لفت الأنظار إلى مراحل خلق الإنسان: (فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ) (الطارق:٥-٧). وفي لفت الأنظار إلى كيفية

خلق الله الطعام ورحلة إيجاد هذا الطعام قال تعالى: (فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ * أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبّاً * ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقّاً * فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبّاً * وَعِنَباً وَقَضْباً * وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً * وَحَدَائِقَ غُلْباً * وَفَاكِهَةً وَأَبّاً * مَتَاعاً لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ) (عبس:٢٧-٣٣). وفيما يتعلق بقدرة الله على الإحياء قال تعالى: (فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً) (سورة البقرة: ٢٥٩)، ومصارع الغابرين قاعدة كلية يتوصل إليها الإنسان عن طريق السير في الأرض والنظر في أحوال الأمم السابقة، وما كانوا عليه من القوة والسلطان والطغيان، وما أصابهم من العذاب في الدنيا قبل الآخرة نتيجة كفرهم وإعراضهم، هذه القاعدة تنطبق على كل الحالات المشابهة، قال تعالى: (أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَاراً فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ) (غافر:٢).

ج - استنتاج حكم جديد من حكم معروف وهو ما يطلق عليه القياس، كقياس خلق عيسى عليه السلام على خلق آدم عليه السلام، قال تعالى: (إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (آل عمران:٥٩). وكقياس الوفاة الصغرى على الوفاة الكبرى في مفارقة الروح الجسد قال تعالى: (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) الزمر:٤٢.

ومن أمثلة القياس، استنتاج معرفة عقلية إيمانية، مثل الإيمان بوحدانية الله تعالى في الألوهية والعبودية من خلال المشاهد الحسية الواقعية كقوله تعالى : (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا) الأنبياء:٢٢. فلو كان في السماوات والأرض آلهة غير الله لفسدتا، ولكن المشاهد والمحسوس أن السماوات والأرض لم تفسد (مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ) الملك:٣، وذلك يوجب أن يكون الإله واحداً.

د - معرفة السبب في حادثة ما، أو أمر من الأمور وهو ما يطلق عليه التعليل، من ذلك ما جاء في القرآن الكريم من بيان علة ضرب القتيل ببعض أجزاء البقرة في سياق قصة موسى عليه مع بني إسرائيل في قوله تعالى: (فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) البقرة:٧٣، وقال تعالى في بيان العلة من نزول القرآن الكريم بلسان عربي: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) (يوسف:٢)، فالعلة من نزول القرآن الكريم بلسان عربي مبين هو تدبر آياته، وتعقل حدوده وأصوله وفروعه وأوامره ونواهيه، فإذا ما تعقل القلب ذلك أثمر ذلك عمل الجوارح والانقياد إليه.

٣- التذكر: التذكر هو إحدى العمليات العقلية المعرفية الأساسية التي أكد القرآن الكريم على أهميتها، وهو ركيزة أساسية مميزة للنشاط العقلي الإنساني، وقد جاء الأمر بالتذكر في كثير من آيات الذكر الحكيم مقروناً ببعض الأساليب التربوية كالقصة. كقوله تعالى في قصة موسى عليه السلام مع الخضر عليه السلام: (فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ) الكهف:٦٣، وضرب المثل كقوله تعالى: (وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) الزمر:٢. والترهيب من الإعراض عن آيات الذكر الحكيم كقوله تعالى: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا) السجدة: ٢٢، وقوله تعالى: (فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ) ق:٤٥، وكالاستفهام الإنكاري التوبيخي كقوله تعالى: (أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ * أَفَلا تَذَكَّرُونَ) الصافات: ١٥٣-١٥٥.

كما حصر الله عز وجل عملية التذكر في أولي الألباب الذين لهم عقول وقلوب مدركة تذكر بالحق فتتذكر، وتتنبه إلى دلائله فتتفكر، قال تعالى: (وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ).

كما حددت الآيات القرآنية مجالات تنمية عملية التذكر منها:

أ - دعوة ذوي العقول الكاملة لتدبر آيات الكتاب العزيز والاتعاظ بمواعظه ، قال تعالى : (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ). يقول الألوسي في تفسير الآية: «أي أنزلناه ليتفكروا في آياته التي من جملتها هذه الآيات المعربة عن أسرار التكوين والتشريع ... وليتعظ به ذوو العقول الزاكية الخالصة من الشوائب». روح المعاني، ج١٢، ص١٨٩.

ب - « التذكير باسترجاع المعاني الفطرية » كقوله تعالى: (وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلا الْمُسِيءُ قَلِيلاً مَا تَتَذَكَّرُونَ) غافر:٥٨ ، فالعقل السليم يفرق بين النقيضين، فلا يستوي عنده الأعمى عن آيات الله المنثورة والمسطورة، والبصير بهما الذي يتفكر فيهما ويتعظ بهما، كذلك لا يستوي عنده العامل بالصالحات، والمسيء بالكفر الغافل عن الآيات والمتنكر للطاعات، وقال تعالى: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ) فلا يستوي العالم بما يؤدي إلى معرفة الله تعالى، وغير العالم بما يؤدي إلى ذلك.

ج - تذكر أحوال الأمم الغابرة لما فيها من عظة وتذكير، كقوله تعالى: (وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ) الأعراف: ١٣٠ ، وقوله: (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ * فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ * فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُوناً فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ * وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ * تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ

* وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) أي فهل من « متذكر للآيات ملق ذهنه وفكره لما يأتيه منها، فإنها في غاية البيان واليسر».

د - التذكير بأحكام الشريعة الإسلامية من الأوامر والنواهي، ومن ذلك قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (النحل: ٩٠)، وقال تعالى: (وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) الأنعام:١٥٢ وقال تعالى: (وَلا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ) الأعراف:٣.

هـ - ومن مجالات التذكر ما يجعل النظر في الآيات مثيراً لبديهيات عقلية تقتضي باستحالة اجتماع النقيضين ، كما في قوله تعالى تعليقاً على قدرة الله عز وجل وحده دون سواه على إجابة دعوة المضطر إذا دعاه، ودفع الضرر والسوء عنه، إذا لجأ إليه، وقدرته تعالى على جعل الناس خلفاء بعضهم يخلف بعض في جلب المنافع : (أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ) النحل:٦٢، وكما في قوله تعالى للدلالة على وجوده ووحدانيته وقدرته وفضله وكرمه: (وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ) النحل:١٣، وللدلالة على تفرده عز وجل بالقدرة الخلاقة المطلقة والعلم الذي لا حدود له واستحقاقه العبادة وحده دون سواه، وعلى عجز المخلوقات الأخرى التي لا تستحق التأليه ولا العبادة قال تعالى: (أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ) النحل: ١٧ وقال تعالى: (وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ) الأنعام:٨٠.

و - التذكير بالهدف من التشريع ، كقوله تعالى: (سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) النور:١، والمعنى أن «هذه هي السورة الموصى بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم والمفروض فيها أحكام تتعلق بالأسرة وفيها دلائل واضحة وعلامات بينة على توحيد الله وكمال قدرته ؛ لتتذكروها ، فتعتقدوا وحدانيته وقدرته تعالى». وهبة الزحيلي ، التفسير الوسيط ، ص١٧٢٧.

ز - « التأكيد على أهمية مراجعة النفس ومحاسبتها »، قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ) (الأعراف:٢٠١، أي إن الذين اتقوا الله عز وجل بفعل الطاعات وترك المحرمات، إذا ألمت بهم لمة من الشيطان فأذنبوا بفعل محرم، أو ترك واجب حاسبوا أنفسهم، وتذكروا أوامر الله، وذكروا عقابه، فأبصروا السداد، واستغفروا الله، واستدركوا ما فرط منهم بالتوبة والإنابة إلى الله والإكثار من الحسنات.

ح - التأكيد على عملية تكرار ذكر الله تعالى، وتذكر نعمه وفضله وآلائه كعلاج للنسيان الناشئ عن غفلة القلب عن الله عز وجل، قال تعالى: (وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ) الكهف:٢٤، وكعلاج لنسيان ذكر الله الذي مصدره الشيطان والعياذ بالله كقوله تعالى: (اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ) المجادلة:١٩.

وخلاصة ما سبق نلاحظ أن منهج القرآن الكريم في تنمية العمليات العقلية المعرفية (الإدراك، التفكر، التذكر) تركزت حول إعمال العقل والفكر فيما ينفع الفرد والمجتمع مما يتعلق بأمور الدنيا والآخرة وذلك في المجالات التالية:

أ - ميدان الظواهر الكونية.

ب - ميدان النفس الإنسانية.

ج - ميدان التاريخ الإنساني وما فيه من العبر والعظات.

د - ميدان التشريع الإسلامي.

هـ - ميدان المسلمات والبدهيات العقلية (العقيدة) مع تأكيد القرآن الكريم لمقتضيات هذا التفكير في تلك المجالات لتحقيق الغاية من وجود الإنسان على هذه الأرض وهي توحيد الله عز وجل وإفراده بالعبادة، وعمارة الأرض من خلال التعرف على السنن الربانية التي تحكم مسيرة الحياة، سواء كانت كونية أو اجتماعية مع ترك مساحة كبيرة للعقل يصنف ويحلل ويقارن ويركب ويكتشف ويبدع، ليستوعب ما يستجد ما دام يدور في فلك الإسلام، ويصدر عن توجيهاته، ويلتزم بضوابطه، كما نلاحظ ترابطاً بين هذه العمليات العقلية المعرفية، فالعقل عندما يقوم بها، لا يقوم بها بصورة منفصلة في العقل الإنساني، بل بصورة مترابطة، فالإنسان ذو العقل الحصيف يدرك، ويفكر، ويتذكر، وينظر، ويتدبر، ويعقل كل المجالات التي أمر الله عز وجل بالتفكر فيها، وقد وردت آيات قرآنية تصف بعض المشاهد الكونية المترابطة للاستدلال على وجود الله عز وجل وكمال قدرته من خلال تلك المشاهد، إذ قال تعالى معقباً على إثارة موضوع خلق الأنعام ومنافعها، وإنزال المطر من السماء وفوائده: (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) النحل: ١١، وعقب على تسخير الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم بقوله: (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) النحل:١٢ ، وعقب على ما خلق في الأرض مختلفاً ألوانها بقوله: (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ) النحل:١٣، ثم حاكم الفطرة إلى بديهية فعلية وهي : تفرد الله بالخلق والعبادة فقال سبحانه (أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ أَفَلا تَذَّكَّرُون) النحل:١٧ «ومع هذا الترابط الوظيفي، لا يمنع من أن يكون لكل تعبير أو لفظ ميزة أو خاصية أو لفتة تخصه في التعبير القرآني وتميزه عن غيره، ولكن الكينونة الإنسانية المدركة ليست انشطارية في وظائفها سواء منها الحسية أو العقلية، كما أنها ليست انشطارية في وظائفها العقلية». (نظرية المعرفة في القرآن الكريم ، مرجع سابق ، ص٦٤٣).

معالم

لماذا ازدهرت سنغافورة بعد ذبول؟

بقلم: د. زلفى أحمد

سعدتُ بسفرتي الأخيرة إلى سنغافورة، وتعرّفتُ فيها على كثير من العادات والتقاليد من الخليط الشعبي لأهلها من الصين والهند والمالاي، كما استفدت أنا وعائلتي دروساً مفيدة في التعامل الراقي، والتنظيم الجميل، والنظافة الأنيقة، وإتقان العمل إلى أبعد الحدود.

لقد حبا الله تلك البلاد طبيعة خلابة: غابات وحدائق وجزراً وبحراً ونهراً، وهي يانعة ناضرة طوال العام، والأشجار فيها باسقة راسخة الجذور، والأزهار والورود متنوعة، لا حصر لأنواعها ولا حدّ لأشكالها، والبساط العشبي الناعم منبسط في كل زاوية وناحية.

الجو فيها واحد، فهي في صيف ربيعيّ دائم، وهو لطيف جميل رطب، ولكن يشتد حرارة ورطوبة مدة ثلاثة أشهر في العام، ثم يحلو ويلطف ولاسيما مع نسمات الصباح الأولى وساعات الليل المتأخرة، ولا يحتاج فيها إلى التكييف إلا ساعات ما قبيل الظهيرة وبعدها لقوة أشعة الشمس حينها، أما ليلا فلا داعي لاستعمال التكييف في أثناء النوم إن حظيتَ بغرفة نوم جيدة التهوية في أدوار عالية.

المطر يسقيها كل يوم تقريباً، وقد تقصر مدّته ومقداره أحياناً، فيتساقط هتّاناً رقيقاً ناعماً، وقد تطول مدّته ويعظُم، فيهطل ساعات غزيراً شديداً مصحوباً ببرق ورعد عظيمين.

البحر فيها بديع الزرقة متقلّب المزاج، يهدأ بصفاء الجو ورقة الرياح، ويزمجر مع المطر العاصف والبرق الراعد. وشواطئه ممتعة بنوعيها الرملي والصخري، وما أمتع لعب الأطفال برماله الناعمة والقفز بجانب صخوره المتناثرة المحفوفة بالعشب الأخضر اليانع.

ومع كون سنغافورة أشبه بحديقة كبيرة جداً؛ بكثرة أشجارها وبُسُطها العشبية في مختلف أرجائها، إلا أن الحكومة تزيد على ذلك بأن تهتم بتخصيص أماكن للحدائق مع تسويرها، والعناية الفائقة بتنظيمها ونظافتها، وزراعة الأزهار والورود الغريبة المتنوعة فيها، وهي كثيرة متناثرة في كل مكان، ولكلّ منها ما يميّزها عن غيرها من حيث أنواع الأشجار والأزهار، أو طريقة المشى فيها أو ارتفاعها عن سطح البحر، أو على شاطئه، أو انحدارها في أحد الأودية، وأغلبها خارجي مكشوف، وقليل منها مغلق مكيّف لِمَن يفضّل الجو البارد على الحرارة والرطوبة.

سنغافورة دولة منظمة ومرتبة لأبعد الحدود، فكل شيء فيها يسير وفق نظام صارم، وترتيب دقيق، واعتاد أهلها على هذا النظام وساروا عليه، فالأسواق لها وقت محدد تفتح فيه وتغلق، وكذا الدوائر الحكومية والمدارس والمواصلات العامة والمستشفيات، ولضمان سير الشعب على هذا النظام وضعت الحكومة عقوبات صارمة جدا لمخالفيه، ولا يستطيع أحد خرق الأنظمة مهما كان منصبه أو مكانته، والجميع سواءً تحت مظلة الدولة، والخدمات ميسّرة للجميع، ولا فضل لأحد على أحد إلا بجدّه واجتهاده.

من الأمور المميزة في تلك البلاد جهد حكومتها الملموس في الرقي بها ونهضتها حتى غدت في مصاف الدول ذات الشأن في العالم، والتطوير فيها شامل لكافة النواحي التعليمية والإدارية والصناعية والزراعية والتجارية والتنموية، مع العناية الشديدة بالطبيعة، ومنع ما يؤذيها، ويخدش جمالها.

وقد شمل التطوير جانب المواصلات العامة، فالكثافة السكانية كبيرة (٨ ملايين) بالمقارنة مع مساحتها (٧١٠كم٢)، واكتظاظ الشوارع بالسيارات يهدر الوقت، ويشوّه الطبيعة؛ فبادرت الحكومة إلى إنشاء مشروع القطار الذي يسير معظمه تحت الأرض، وجزء قصير منه يسير على جسور فوق الأرض، مع إنشاء شبكة من الحافلات العامة الكبيرة بحيث يمكن الوصول إلى أي مكان باستخدام الحافلات أو القطار، أو كليهما أحيانا دون الحاجة إلى اقتناء سيارة، وقد ربطت الدولة طرقها بتقنيات الشبكة العالمية، فأصبح من اليسير معرفة طرق الوصول للوجهة باستخدام خريطة (قوقل) تدلُّك على أرقام الحافلات، وأسماء محطات القطار التي ستوصلك لوجهتك بيسر وسهولة.

ولتشجيع الشعب على استخدام المواصلات جعلت الحكومة تكلفة استخدام المواصلات العامة زهيدة جدا، يَقْدِر على تحمّل تكلفتها أي شخص مهما بدا فقيراً مُعدماً، وفي هذا تخفيف لزحام السيارات، وتوفير لثمنها، إذ قد يصل سعر السيارة في سنغافورة خمسة أضعاف سعر السيارة عندنا في السعودية.

في سنغافورة يشعر المرء بالأمان التام، فلا يخشى على نفسه من اعتداء أحد عليه أيا كان نوع ذلك الاعتداء، ويعم ذلك الشعور جميع طبقات المجتمع وأجناسه من فقير أو غني أو امرأة أو رجل أو طفل، سواء في ذلك استخدامه للسيارة الخاصة أو المواصلات العامة أو السير على الأقدام وفي أي وقت من الأوقات، وقد وُضعت في المرتبة الثالثة عالمياً من حيث الأمان.

يعتني الشعب السنغافوري بصحته كثيرا، ففي الصباح الباكر ومع غروب الشمس، إذ تنخفض درجة الحرارة ويلطف الجو، يُلاحظ بجلاء كثرة المشاة والمهرولين في الحدائق العامة من جميع الأعمار نساءً ورجالا، ويحرصون على اصطحاب قارورة ماء معهم خشية إصابتهم بالجفاف، وهذه العادة الصحية لا يقتصر الالتزام بها أثناء الرياضة فحسب، بل يصاحبهم ذلك الماء أينما ذهبوا: في التنزه، والتسوق، وفي أوقات الدوام.

ومن عناية الدولة بصحة شعبها أنها فرضت رقابة شديدة على مطاعمها المنتشرة في كل مكان، بحكم عمل الزوجين،وحاجتهما إلى الأكل الجاهز، ومن القوانين تغطية الأكل، ولبس العمال للقفازات، ومنع العربات التي تبيع الأكل المكشوف، وغسل المطعم وتنظيفه قبل إغلاقه، كما منحت البلدية المطاعم درجات حسب التزامها بالقواعد الصحية، وجودة طعامها، وجعلت تلك الدرجة في مكان بارز أمام المطعم ليعلم الزائر درجة هذا المطعم قبل الإقدام على الشراء منه.

وتتنوع المطاعم في سنغافورة تَبَعاً للتنوع الشعبي فيها، إذ تنتشر المطاعم الصينية والهندية والمالاوية والأجنبية العالمية بالإضافة إلى القليل من المطاعم الشرقية كالشامية والتركية. وإلى جانب المطاعم المتنوعة والأسواق الضخمة المنتشرة على طول البلاد وعرضها تتنوّع في سنغافورة وسائل الترفيه. ففيها الاستمتاع بالطبيعة من غابات وحدائق وشواطئ وحديقة حيوان

وأخرى للفراشات، وثالثة للطيور وسباحة بحرية أو في المسابح الخاصة. وبالقرب من سنغافورة جزيرة صغيرة تابعة لها تسمى (سنتوسا) تقطنها قلة سكانية، استغلتها الحكومة على نحو واسع، فربطتها بسنغافورة بممر بري للمشاة يستغرق نصف ساعة للوصول إليها، بالإضافة إلى جسر معلق يمرّ عليه قطار سريع، و يمكن استخدام السفن البحرية الصغيرة أو العربات المعلقة، وفي سنتوسا كل ما يخطر على البال من وسائل الترفيه: الطبيعية والصناعية، ففيها شاطئ رملي للتشمّس والسباحة، وفيها غابة ضخمة يمكن السير تحت أشجارها والاستمتاع بعبيرها وشلالاتها وينابيعها، كما أن فيها الألعاب الترفيهية المكشوفة بين أحضان الطبيعة، والألعاب الترفيهية الصناعية المغلقة المكيفة وهي إحدى مدن الألعاب العالمية.

تنتشر الأسواق في جميع أنحاء البلاد، وتتنوع بين صغيرة متناثرة مكشوفة، وبين كبيرة ضخمة مغلقة، وتُبدع شركات البناء والمعمار في ابتكار تصاميم هندسية غريبة لأسواقها وأبنيتها. ومما يلاحظ على نحو واضح في تعاملاتهم المالية في الأسواق وغيرها؛ نزاهتهم، وصدقهم، وبُعدهم التام عن الغش والخداع والمكر، فكل شيء واضح للعيان ولا مجال لأي ظلم أو خديعة، كما يظهر لكل مواطن أو مقيم أو سائح العدل المنتشر في الدولة، فلا مجال فيها للفساد أيا كان نوعه.

السكن عندهم متنوع بين الفلل الصغيرة التي يملكها أصحاب الأموال وما أكثرهم هناك، وبين الشقق الصغيرة في العمارات الحكومية والتي غالبًا تكون بأسعار زهيدة وهي إسهام من الحكومة لإعانة أصحاب الدخل المنخفض، وثمة شقق سكنية صغيرة في مجمعات فاخرة مكونة من أبراج ضخمة وهي لأصحاب الدخل المتوسط والعالي، إذ يمكن تملُّك هذه الشقق أو استئجارها، وشقق الأبراج تلك تُوفّر لساكنيها خدمات راقية متنوعة، ففي هذه المجمعات مواقف خاصة للسيارات، وأماكن مخصصة لإقامة الحفلات الكبيرة وأخرى للصغيرة، وفيها أماكن للشواء، وجلسات لطيفة لتناول الطعام مع الأهل والأصدقاء، وفيها مسابح كبيرة خاصة مكشوفة يمكن استخدامها في أي وقت من الصباح الباكر إلى منتصف الليل،وثمة صالة رياضية مغلقة، فيها أجهزة متنوعة وشاشة تلفزيون مع خدمة الإنترنت والمجلات والجرائد اليومية، وتوجد أيضا ملاعب لكرة القدم والتنس وكرة الطائرة، وهذه الخدمات مع الأبراج السكنية محاطة بسور خاص بها، إذ لا يمكن الدخول إليها أو الخروج منها إلا بإذن من حارس الأمن، وذلك لساكني الأبراج أو زوارهم.

تعتني الدولة كثيرا بتوفير مستوى تعليمي عالٍ، والدراسة فيها إلزامية، وللانتقال من المرحلة الابتدائية إلى الثانوية ثم إلى ما

قبل الجامعة ومن ثَم إلى الجامعة يخضع الطلاب لاختبارات قوية لتأهيلهم للمرحلة التالية، وفرزهم إلى مستويات منوعة حسب ما يحصلون عليه من درجات، فيكون المتميزون معاً، ومَن دونهم من الدرجات معاً ليكون التنافس أقوى. واللغة الإنجليزية هي اللغة الرسمية لأهل البلد.

ورغم كل ما في تلك البلاد من محاسن ومزايا إلا أن ثمّة مساوئ وسلبيات تُزعج المواطن والمقيم والسائح، وبعضها يخدش المشاعر الإسلامية ويؤذيها.

فمع العدل الذي تحرص الدولة عليه بين أفراد الشعب السنغافوري، والمساواة التي تؤكّدها في جميع تعاملاتها إلا أن تنوع الجنسيات في سنغافورة يؤدي إلى حدوث بعض الحساسية والعنصرية فيما بينهم، ولاسيما مع الثراء الفاحش الذي يتمتع به الصينيون، والذي يُشعرهم بالتميز على مَن دونهم من الجنسيات الأخرى، ويظهر ذلك في بعض تعاملاتهم مع غيرهم.

ومن أبرز المساوئ المزعجة في تلك البلاد الغلاء الفاحش في السلع، فثمن أي سلعة عندهم يساوي خمسة أضعاف ثمنها في السعودية،ولاسيما في المناطق السياحية وتذاكر الألعاب فالأسعار هناك خيالية، ويستثنى من ذلك أسعار السلع الغذائية فسعرها مناسب نوعاً ما ولكن يبقى أغلى من بقية الدول، وقد احتلت سنغافورة عام ٢٠١٤م المرتبة الأولى كأغلى دولة في العالم من حيث تكاليف المعيشة.

ومن الجوانب المؤذية في سنغافورة الملابس التي ترتديها نساؤها ولاسيما من ذوي الأصول الصينية، إذ يبالغن في تقصير ملابسهن وتضييقها وعريّها بسبب حرارة الجو والرطوبة، ويندر رؤية امرأة متسترة بلباس طويل إلا إن كانت مسلمة ملتزمة بالحجاب الشرعي، وهن قلة في زحمة الشارع السنغافوري.

تُعدّ سنغافورة بلدًا متعدّد الديانات بسبب الخليط العرقي فيه، وتقرّ الدولة في سنغافورة بحرية الاعتقاد، وفصل الدين عن الدولة، ولكن بشكل عام هناك بعض الانتقادات للحرية الدينية فيها، ولاسيما فيما يتعلق بحظر بعض المجموعات الدينية أو مرور المنشورات المتعلقة بالديانات على الرقابة الحكومية.

وعلى نحو عام تسعى الحكومة السنغافورية إلى التآلف بين مختلف الأديان والتقريب في وجهات النظر بينها، وأكبر الأديان هو البوذية، وأغلب معتنقيها يعودون في أصولهم إلى الصين وتايوان، وثاني الأديان فيها هو المسيحية، مع أنها تعدّ من الأديان الحديثة العهد في الدولة، والمركز الثالث احتلّه اللّادينيون، أما الدين الرابع في سنغافورة فهو الإسلام، إذ يمثل المسلمون ١٥٪ من الشعب السنغافوري، وأغلب المسلمين يعودون بأصولهم إلى ماليزيا أو الهند وفيها قرابة ٨٠ مسجدا، ويلي الإسلام الديانة الهندوسية.

المسلمون في سنغافورة يمارسون شعائرهم بحرية تامة، والأذان لكل صلاة يُرفع بسماعات داخلية بحيث يسمعه مَن بداخل المسجد، ومَن يمر بقربه، وفي الأعياد والمناسبات الدينية يجتمع المسلمون في المساجد، ويؤدّون الشعائر دون أي إزعاج من غير المسلمين من أبناء الشعب السنغافوري. وقد سمحت الحكومة لمسجد واحد في وسط المدينة برفع الأذان لكل صلاة باستخدام سماعات خارجية بحيث يغدو مسموعاً للأحياء المجاورة، كما سمحت لهم بقراءة سورة (يس) ليلة الجمعة على الملأ باستخدام المكبر الخارجي، ويبدو أن ذلك الإذن من الحكومة من باب حرصها على تقارب الأديان، ورغبة منها في تعريف الناس ببعض المظاهر الدينية للإسلام شأنه شأن بقية الأديان؛ فالبوذيون والمسيحيون والهندوس يُسمح لهم بإظهار بعض شعائر دياناتهم.

من الأحكام الدينية التي يحرص المسلمون السنغافوريون عليها أشد الحرص مسألة الأكل الحلال، فعندهم جهة خاصة تمنح المواد الغذائية شهادة بحلّ مكوناتها، وعلامة الحلال هذه تجدها على معظم المنتجات الغذائية من لحوم ودجاج ومواد تموينية، حتى حليب الأطفال وحلوياتهم. وقد منحت هذه الجهة تلك الشهادة للكثير من المطاعم، مشترطة عليها استخدام اللحم والدجاج المذبوحين على الطريقة الإسلامية بالإضافة إلى حلّ المواد الغذائية الأخرى المستخدمة في المطعم، وعدم بيع أي نوع من الخمر فيها. وشهادة الحلال تلك تكون معلّقة في مكان بارز في المطعم، ومن الطبيعي جدا سؤال العمال في أي مطعم عنها؛ إذ إن الجميع غدوا مستوعبين للحكم الشرعي الذي يسير عليه المسلمون في طعامهم.

ومما يحرص عليه مسلمو سنغافورة تعليم أبنائهم القرآن الكريم واللغة العربية، وهما مادتان أساسيتان في المدارس الإسلامية، التي تنتشر في سنغافورة، إذ توجد خمس مدارس فيها، والطالب الذي يرغب في إكمال تعليمه الشرعي يبتعثونه إلى الأزهر الشريف في مصر.

وبعد...

فإن لسنغافورة ماضياً عريقاً في التخلّف والتأخر، وتاريخها مظلم في الحضارة والصناعة، ولكنها قبل (٥٠) سنة قررت النهوض، ونفض أتربة الماضي، ووضعت نصب عينيها خطةً لذلك، مفادها العدل والمساواة والاتحاد، وحاربت أول ما حاربته الفساد الإداري، وتسلّط أصحاب النفوذ والمنصب على مَن دونهم، فبرزت بشكل سريع جداً، وعلا شأنها، وصارت في مصاف الدول الكبرى، وهذا مصداق لقول الشيخ ابن تيمية: «إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا يقيم الدولة الظالمة وإن كانت مسلمة».

تجارة الأعضاء البشرية :
أكثر من ملياري دولار أمريكي عائداتها السنوية !

تحقيق / منير منير

نشطت خلال السنوات العشر الأخيرة، تجارةٌ محرمةٌ «شرعاً وقانوناً»، لعدم إنسانيتها وفظاعتها كجريمة يمكن تصنيفها ضمن ما تسمى في القانون الدولي بجريمة ضد الإنسانية، أو جريمة تعادل جرائم الحرب التي أنشئت لها محاكم دولية خاصة تحت إشراف الأمم المتحدة، وفي إطار مواثيقها وأنظمتها التي تلزم دول العالم بالتقيد بها.

التجارة التي أطلق عليها البعض اسم (تجارة الموت)، تدرُ بحسب دراسات أجرتها جامعة إيراسموس روتـردام الهولندية، مليارات الـدولارات على القائمين بها، ويشبهها بعض الدارسين بتجارة السلاح العالمية التي تعتبر الأضخم من حيث الكم والأموال التي تجنيها الدول المصدرة للسلاح، وهنا ـ وللمفارقة ـ تلتقي «التجارتان»، فالأولى «تجارة الأعضاء البشرية»، والثانية «تجارة السلاح»، وكلتاهما تعمل على تدمير الإنسان وتهديد حياته بدون رحمة !

بعض الأطباء والقانونيين والوسطاء ضالعون في عصابات تجارة الأعضاء

ويفيد تحقيق أجرته صحيفة التايمز البريطانية الشهيرة، بأن أطباء وطواقم طبية مساعدة (ممرضين)، وبعض رجال القانون من المحامين، هم من يتولى إضفاء الصفة القانونية على تلك الممارسات، إضافة إلى وُسطاء متورطين في تلك التجارة التي تلقى رواجاً يوما بعد آخر.

كما دخلت وسائل الإعلام ووسائط التواصل الاجتماعي الحديثة، كالإنترنت والفيس بوك، على خط تلك الجرائم، وذلك باستخدام المروجين والوسطاء لها في تجارتهم، باعتبار تلك الوسيلة آمنة وسريعة والأوسع انتشاراً لجني الفوائد بسرعة.

أما ضحايا تلك التجارة القذرة، فهُم طبقة الفقراء في بعض المجتمعات، خاصة النازحين من الأرياف وساكني الأحياء العشوائية، يُضاف إليهم المشردون في المُدن، واللاجئون الذين هربوا من مناطق الحروب والنزاعات وأكثرهم من قارتي إفريقيا وآسيا.

وهؤلاء هم الفئة الأحدث من المستهدفين من العصابات النشطة في هذه التجارة العالمية، التي تشارك عصابات من دول مختلفة في التنسيق والتعاون فيما بينها، حيثُ يتولى كل طرف التعاون مع الطرف الآخر مقابل مبلغ محدد، أو نسبة معلومة من ربح تلك التجارة.

وبحسب تقرير نشرته هيئة الإذاعة البريطانية نقلاً عن التايمز، يبلغ ثمن (الكلية الواحدة) مئة ألف جنيه إسترليني، فيما يُشكل المهاجرون من مناطق الحروب والنزاعات في إفريقيا أكثر الفئات تعرضاً للسقوط في شراك عصابات المافيا التي تمتهن هذه التجارة، و تُعتبر (الكُلى) أكثر الأعضاء المطلوبة من المشترين كما تفيد الدراسة التي أجرتها الجامعة الهولندية المذكورة، ويشكل أثرياء الدول الغنية، غالبية المشترين، إذ لا يستفسرون عادة عن مصدر العضو الذي يقومون بشرائه، كما أنهم مستعدون لدفع أي مبلغ يُطلب منهم في سبيل استعادة صحتهم، وإن كان على حساب صحة شخص آخر دفعته ظروف فقره وحاجته لبيع جزء عزيز من جسده مقابل مال، وما كان ليبيعه إن لم يكن فقيراً أو محتاجا.

جماعات الشر

تفيد بعض التقارير العالمية التي تتبعت خيوط هذه العصابات، أن هناك «جماعات» إجرامية تمتهن بيع الأعضاء البشرية، وثانية تتاجر في البشر أنفسهم، وذلك ضمن ما يسمى بتجارة البشر، والتي تقوم بها عصابات تهريب البشر من دولة إلى أخرى، مقابل مبلغ مالي متفق عليه، وأغلب ضحاياها من القارة الإفريقية جنوب الصحراء، وتنشط تلك العصابات في محيط دول الساحل الشمالي لإفريقيا، مثل ليبيا وتونس وموريتانيا ومصر باعتبار سواحلها هي أقرب نقاط وصول للساحل الأوروبي، وغالباً ما تنتهي رحلات تلك المجموعات المغامرة بغرق مئات الآلاف منهم في البحر قبل الوصول إلى مبتغاهم ومحطتهم المنشودة التي يحلمون بالوصول إليها للعيش في «جنة أوروبا» !

ويقول مهاجر غير شرعي من بلد إفريقي، أثناء التحقيق معه، إن المهاجرين الذين يفشلون في دفع تكاليف رحلتهم، غالباً ما يتم

اللاجئون والفقراء هُم المستهدفون بالدرجة الأولى

بيعهم من قبل العصابات المهربة، لعصابة أخرى تعمل في بيع الأعضاء البشرية، وهو ما قلنا إنها «عصابات إجرامية للشر»، إذ تلتقي مصالح العصابات عند نقطة جني المال من تجارتهم المحرمة.

ويُجبر من يود بيع كليته، على التوقيع على ورقة رسمية تطالب بها الجهات المسؤولة في بعض الدول، كوزارات الصحة، ويتم تهريب تلك الأوراق من قبل أعضاء تلك العصابات ممن يعملون في المستشفيات، كبعض الأطباء والممرضين والموظفين الذين يدفعون مبالغ زهيدة لقاء تلك الأوراق الرسمية، حيث يقرُ فيها الضحية بأنه يتبرع بكليته طوعاً وبدون مقابل مادي.

كما تلجأ عصابات أخرى، على إجبار الضحية الذي يعرض عضوه للبيع، على التوقيع على شيكات أو إيصالات أمانة بمبالغ ضخمة لو كان يملكها لما باع عضوا من أعضاء جسده، والغرض من هذه الخطوة هو ضمان عدم تراجع الضحية عن التبرع بكليته أو العضو المطلوب نزعه منه، أو عدم تقديم شكوى أو الإيقاع أو الوشاية بتلك العصابات لدى جهات رسمية.

الأفارقة الأكثر استهدافاً !

ويقول، شين كولب الباحث في جامعة ليفربول البريطانية وأحد المشاركين في إعداد التقرير إن المعروض في إطار «التبرع التطوعي» بالأعضاء قليل للغاية، ونادر غالباً، الأمر الذي يدفع إلى التخفي والعمل في إطارات غير قانونية.

ويكشف كولب أن المهاجرين الأفارقة يأتون على رأس المستهدفين حيث إنهم لا يبلغون عن الانتهاكات التي تحدث في حقهم، إما خوفا، أو لارتفاع معدلات الأمية فيما بينهم، إضافة للخوف من ترحيلهم إلى حيثُ أتوا، لوجودهم في البلاد بصورة غير رسمية، ولأنهم أتوا أصلا لخوض رحلة الموت إلى أوروبا عبر البحر الأبيض المتوسط.

وأضافت الصحيفة أن صورا تم تداولها على وسائل التواصل الاجتماعي أظهرت جثث تسعة لاجئين صوماليين، عثرت عليها الشرطة على أحد شواطئ الدول العربية، وقد امتلأت أجسادهم بالندوب مما ترجح سرقة أعضاء منهم قبل قتلهم.

ويفيد التقرير، أن المستشفيات والمراكز التي تجرى فيها تلك العمليات تتجاهل عمدا مصدر «الأعضاء التي يتم زراعتها»، رغم أن وزارات الصحة تشدد على نقل الأعضاء بعد استيفاء كل الإجراءات الرسمية والقانونية في هذه الحالات.

واعترف أحد السماسرة بأن الأطباء لا يريدون معرفة أي معلومات عن المنقول منه العضو أو المتبرع به إن كان هناك، فهم يأخذون الأموال دون أسئلة.

وفي ذات الشأن، فقد كشف تحقيق مماثل أجرته الصحيفة البريطانية نفسها، أن مرضى بريطانيين يتلقون عروضا بشراء «كلى» تم تهريبها بشكل غير شرعي من بريطانيا أو الهند وإجراء عملية جراحية لزراعتها في مستشفى حكومي بسريلانكا، مشيرة إلى أن بعض مرضى الفشل الكلوي في بريطانيا قد تلقوا نصائح بالتوجه إلى المستشفى الحكومي في العاصمة

السريلانكية كولمبو، حيث تعرض عليهم كلى يبلغ ثمنها في السوق السوداء آلاف الجنيهات.

وفي مدينة بنغالور الهندية، قال مراسل الصحيفة لوسيط هندي يعمل في الترويج لبيع الأعضاء، إن أحد أقربائه مريض يحتاج لزراعة كلية، فعرض عليه السمسار إجراءها في مستشفى بسريلانكا مقابل ٤٩ ألف جنيه، يحصل مانح الكلية على ٣٥ ألفا منها.

تعريف «ويكبيديا» للظاهرة

وعن التعريف بهذه التجارة عالمياً، جاء في موقع «ويكبيديا»، (تجارة الأعضاء، هي تجارة غير قانونية، تصنف اقتصادياً كسوق سوداء، قائمة على تجارة أعضاء جسم الإنسان لأغراض مختلفة، أهمها لعلاج بعض الميسورين القادرين على دفع كلفتها المرتفعة، والتي يطالب بها الوسيط دون المتبرع الذي يحصل على مبلغ قليل مما يدفعه المحتاج لتلك الأعضاء).

ويضيف الموقع (بأن هناك الكثير من محاولات تجارة الأعضاء في العالم، وتزداد عادة هذه الحالات في الدول الفقيرة التي يرى سكانها أن بيع أعضائهم أو أعضاء موتاهم يدر عليهم دخلا وفيرا هم في أشد الحاجة له) !

الأسباب .. والقادم

أعد مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة في القاهرة، ووفق تقرير بعنوان «لماذا تزايدت تجارة الأعضاء البشرية في الشرق الأوسط» أجري للوقوف على ما وصفه التقرير بـ«الجريمة الصامتة»، التي تصاعدت أدوار عصاباتها في بعض دول الشرق الأوسط.

وأشار التقرير إلى أن شبكات الاتجار بالبشر تدخل ضمن ممارسي هذه التجارة المحرمة ـ كما سبق أن أشرنا ـ إذ يتستر كل طرف على الآخر، هربا من الملاحقة القانونية، أو بغية الاستمرار في جني المزيد من الأموال والثراء السريع على حساب الفقراء والمعوزين.

ويفيد التقرير المذكور، بأن إيران تعد الدولة الوحيدة في الإقليم التي تُبيح التبرع بالأعضاء البشرية لإنسان على قيد الحياة نظير مقابل مادي ، وهو ما يجعلها تجارة مقننة، في حين تغيب هذه الآلية عن بقية دول الإقليم، وهو ما يرسخ نشاط السوق السوداء لتجارة الأعضاء البشرية، التي أصبحت ظاهرة مقلقة بالفعل، في حين تقف الأنظمة والقوانين والجهات العدلية عاجزة عن مواجهتها رغم اعتراف الجميع بوجودها.

ويقر واضعو التقرير، بأن السرية التي تكتنف هذه الممارسات غير المرئية تجعل من الصعوبة بمكان تحديد حجم هذه السوق السوداء، وكذلك معرفة عدد الأعضاء التي يتم تداولها سنويًّا بشكل غير قانوني في جميع أنحاء العالم، مع اختلاف الأسعار المحددة من دولة لأخرى.

غير أنهم يؤكدون أن عدم وجود الإحصائيات في المؤسسات الصحية، أو فقدان الأدلة عنها، لا يعني عدم وجود «الظاهرة».

عائدات مليارية !

أصدرت منظمة الصحة العالمية عام ٢٠١٥م تقريراً من طرفها، ذكر أن هناك أكثر من ١٠ آلاف عملية بيع وشراء للأعضاء البشرية بالسوق السوداء سنويًّا، وما بين ٥ إلى ١٠ ٪ من جميع عمليات زراعة الكلى على مستوى العالم تتم عبر عمليات الاتجار والتهريب عبر الحدود، مشيرًا إلى أن تلك التجارة تحقق أرباحًا سنوية تتراوح بين ٦٠٠ مليون دولار و١,٢ مليار دولار، في حين ترفعها تقديرات أخرى إلى ٨ مليارات دولار سنويًّا.

وجاء في التقرير المذكور، أن تنظيم «داعش» الإرهابي يقوم بتجنيد أطباء في مناطق الصراعات التي ينشط فيها، لاستئصال الأعضاء الداخلية، ليس فقط من جثث مقاتليه المتوفين الذين تم نقلهم بسرعة إلى المستشفى، بل أيضًا من المصابين الذين تم التخلي عنهم، أو الأفراد الأحياء الذين يتم اختطافهم في المناطق التي تحت سيطرة التنظيم.

وحدد تقرير المنظمة الدولية الأنماط العديدة التي يتم فيها الاتجار بالأعضاء البشرية، وذكر منها استئصال الكلى، وفص

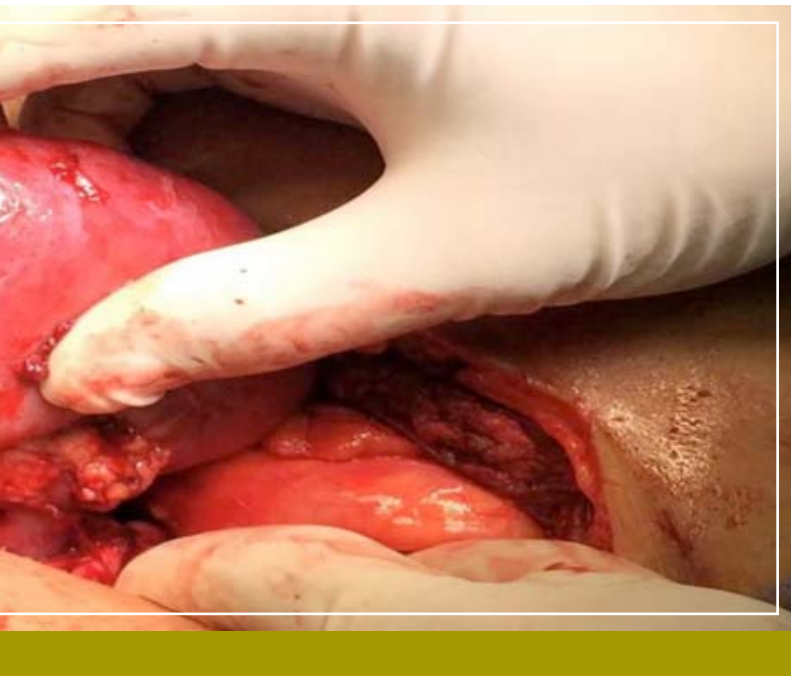

ـ أو قطعة من الكبد، وقرنية العين، والنخاع، والجلد وبصيلات الشعر.

وكذلك الاختطاف القسري خاصة لأطفال الشوارع بهدف سرقة الأعضاء البشرية، والزواج حيث يتم تزويج فتيات فقيرات يُردن بيع أعضائهن من شخصيات ثرية بشكل رسمي، وعزا التقرير رواج ظاهرة تجارة الأعضاء البشرية في دول الإقليم إلى جملة من العوامل، منها: نشاط «شبكة الموت» من خلال سماسرة الأعضاء البشرية، وتصاعد حدة الصراعات الداخلية في بعض الدول، وانتشار الحدود الجغرافية المشتركة المفتوحة، واتساع دائرة الأزمات الاقتصادية وتفاقم الضغوط المعيشية، إضافة إلى عدم فعالية الرقابة الحكومية، وضعف الأنظمة القانونية المنظمة لنقل الأعضاء البشرية، وتأثيرات جماعات المصالح الدولية.

وأوضح التقرير وجود سياسات تُسهم بدرجات متفاوتة في الحد من تجارة الأعضاء البشرية في دول الإقليم، وهي: التنسيق المستمر بين أجهزة الدولة لتتبع عمليات الاتجار بالأعضاء البشرية، على نحو يحاصر هذه العصابات كما في بعض الدول التي شهدت محاولات جادة لوضع حد للظاهرة.

وطالب التقرير، بضرورة إشاعة ثقافة مجتمعية من شأنها التبرع بالأعضاء بعد الوفاة، وذلك عبر إطلاق حملات في مواقع التواصل الاجتماعي كما حدث في المغرب، بهدف ترسيخ قيم وثقافة التبرع لدى المواطنين، وتشجيعهم على تسجيل أسمائهم في سجلات المانحين بعد الوفاة، وبلورة أطر تشريعية ومظلات قانونية؛ بهدف مواجهة حالات الاتجار بالأعضاء.

معسكرات اللاجئين .. هدفٌ مفضل !

وخلُص تقرير منظمة الصحة العالمية، إلى ضرورة تطوير أنظمة الرقابة الداخلية في المؤسسات العلاجية من خلال تشكيل مجلس أخلاقيات طبي واجتماعي يضم في عضويته أطباء متخصصين، وقضاةً، وممثلي المجتمع المدني، لتولي الإشراف على مثل هذه العمليات في المستشفيات والمصحات المرخصة والمحددة بقانون، ومراقبة التزامها بتطبيق شروط ومواصفات فنية وتقنية.

ودعا التقرير إلى التعويل على دور مؤسسات المجتمع المدني في التوعية بأهمية المواجهة الشاملة خاصة بعد ورود شكاوى من مواطنين تضرروا من فقدان تلك الأعضاء، مثل دور جمعية «حركة أطباء ضد الفساد» في تونس.

وتقول دراسات أجريت من قبل منظمات تعمل في مخيمات اللاجئين بالحدود التركية، وجنوب السودان وبوروندي والصومال وكينيا .. إن هذه التجمعات أماكن مستهدفة من قبل العصابات التي تنشط في المجالين، أي تجارة البشر، وتجارة الأعضاء البشرية على حد سواء، وذلك لرغبة أغلب هؤلاء اللاجئين، خاصة الفئات العمرية الصغيرة من الشباب في الخروج إلى دول أوروبية هرباً من الوضع المزري والبائس داخل معسكرات اللجوء.

وفيما تنشط جهات معينة لخداعهم بإمكانية تسفيرهم إلى دول غربية مقابل مبالغ طائلة، يحاول آخرون استدراج الأطفال بشتى الطرق وسرقتهم، ثم الهروب بهم عبر دول أخرى يتعاملون فيها مع عصابات محلية فيها، وتنتهي رحلة هؤلاء البؤساء في مستشفى ليتم استئصال أعضاء منهم ومن ثم بيعها لمن يشتري.

هذا .. أو القبول بوصمة العار !

وهكذا، فإن موت الضمير العالمي، وضُعف آليات المراقبة، وعدم وضوح الأنظمة في مواجهة هذه الجرائم البشعة والمستهجنة والمرفوضة دينياً وأخلاقياً وإنسانياً، يُهدد البشرية كلها لا المجتمعات والدول الفقيرة فحسب، وما لم تتحرك الحكومات ومنظمات الأمم المتحدة وحقوق الإنسان ومنظمات المجتمع المدني، لمحاربة هذه الظاهرة المشينة، فمن المؤكد أن دائرتها سوف تتسع لضخامة الثروات والمبالغ التي تجنيها تلك العصابات والجماعات دون وازع من دين أو ضمير أو أخلاق.

وبهذا، فستكون تجارة البشر وبيع وشراء أعضائهم، وصمة عار في جبين البشرية حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

الصومالي عبدالله زلفا:

من مسرح الغناء إلى محراب القرآن

الرياض: زرياب الصديق

عبدالله محمد جمعالي، وشهرته عبدالله زلفا. مواليد عام ١٩٦٠م/١٣٧٩هـ في مقديشو التي صار بعد عقدين من مشاهيرها في الغناء، لدرجة أن جماهيره تقف إلى صلاة الفجر مصطفة لحجز تذاكر حفلاته، وهو المنظر الذي جعله يقرر اعتزال الغناء حين شاهدهم، لينتقل إلى المملكة العربية السعودية ويتحول من المسرح مغنيًا إلى المحراب تاليًا للقرآن.

أنت من أسرة محافظة: كيف دخلت إلى الفن؟

نشأتُ مثل عامة الصوماليين في أسرة محافظة، وحفظت قدرًا من القرآن الكريم، وتلقيت شيئًا من العلوم الشرعية قبل الالتحاق بالمدرسة، ومع ذلك كنت محبًا للفن وقد بانت موهبتي في حصص النشاط إلى أن تخرجت في الثانوية وصار الناس يعرفونني أكثر، وتفرغت لهذا المجال وكونت فرقة إفتر «Iftir» وكنت أعزف وأغني.

واجهت معارضة من والديك؟

طوال فترة اشتغالي بالفن لم أغادر منزل والدي، وقد تزوجت من قريبتي ومارست حياتي بشكل طبيعي ليس فيه مغالاة، ومنعت نفسي من الممارسات المحيطة بالفن، وكان لذلك دور في تطمين أسرتي والناس من حولي.

إلى أي حد بلغت شهرتك؟

هذا تقديره عند الناس، ولكن لك أن تقيسها بأن تذاكر حفلاتي كانت تنفد قبل شهور من انعقادها، وطفت بلدان عديدة عربية وإفريقية وأوروبية بدعوة من الجاليات هناك، كما أن علاقاتي امتدت إلى مستويات عليا في البلاد، وكانت فترة الثمانينات قمة شهرتي (١٤٠٠هـ).

شهرة كهذه تأخذ المرء بعيدًا؟

كنت مخلصًا للفن ولم أحترفه رغبةً في الشهرة، وبحمد الله لم أضيّع عباداتي ولم أقرب الخمر أبدًا، وحافظت على صلتي بالمشايخ والعلماء، وكان هذا يجعل الناس في حيرة من أمري ويحترمونني في نفس الوقت ، فكنت أقول لهم: «أنا مغن ولكني ما زلت مسلمًا» فيدعون لي بتمام الهداية.

إذن لماذا تركت الفن؟

رغم محافظتي على واجباتي الدينية وانضباطي الشخصي لم أكن مرتاحًا نفسيًا، وأشفقت على تأثر الناس بي وخشيت أن أكون قدوة سالبة لهم تتسبب في تضليلهم، كما أن المغني يكون محاطًا بظروف وطقوس غير مريحة تجعله متنازعًا بين هوى النفس ورغبة الالتزام، هذا غير الحياة المقلوبة إذ أنام نهارًا وأعمل ليلاً، هذه جملة عوامل دفعتني لقرار الاعتزال.

وما هي اللحظة الحاسمة؟

كنت في الطريق إلى بيتي عند الفجر، فمررت بصفوف طويلة من الناس واقفين لحجز تذاكر حفلي التالي، وأذان الفجر يصدح، فطاف بذهني فرعون الذي أضل قومه وما هدى وخشيت على نفسي وعليهم وتذكرت نداءات زوجتي التي كانت تقول لي دومًا: «اترك هذا الفن والرزاق هو الله».. فعقدت النية والعزيمة على التوقف.

كيف أعلنت اعتزالك؟

بعد المنظر الذي رأيته لم يكن بيني وإعلان اعتزالي سوى جولة فنية خارجية تعاقدت عليها سلفًا، شملت دولاً عدة منها إيطاليا وقطر

ثم موريتانيا المحطة الأخيرة، حيث جمعت الصحفيين وقلت لهم لقد انتهى مشـــواري عند هذا الحد. ولم أستطع الوفاء ببقية التزاماتي، إذ أعلنت قراري في أغسطس ١٩٨٨م والصوماليون يستعدون للاحتفال بذكرى ثورة أكتوبر التي كان من المفترض أن أحييها.

ما هو صدى القرار؟

كان صادمًا للكثيرين، فقد كانت أشـــرطتي وإعلاناتي تنتشر في كل المحال التجاريـــة ويعرفني الصغير والكبير، والعديد من السياســـيين مفتونون بي، وآخرون اســـتقبلوا الخبر بارتيـــاح لأنهم كانوا يدعون لي بتمام الهداية لما يعلمونه عني من انضباط وتوســـط. وقد بارك كثير من المشـــايخ والعلمـــاء خطوتي هذه، وزوجتـــي أم محمد كانت أكثر الفرحين وهي سندي ومشجعي الأول.

تعرضت لإغراءات لأجل العودة؟

نعم، إغراءات شديدة وأحمد الله أن وهبني الثبات. جاءني مسؤول رفيع كان يحبني كثيرًا ويدعمني، فقال: ماذا تريد؟ خذ هذا شـــيكًا مفتوحًا واكتـــب الرقم الذي تحـــب. وكذلك وردتني مناشـــدات من الإعلام ومن الأســـر الثرية ومن الأصدقاء، فكان جوابي دومًا: «لقد تركت هذا الأمر لله لا لشيء سواه، ولولا ذلك لأجبتكم وعدت».

لهذا القرار تبعات اقتصادية: كيف تدبرت أمرك ؟

لم يكن لي ترتيب لماذا ســـأعمل بعد الاعتزال، بـــل لم أفكر في الأمر كما يســـتحق، وكانت زوجتي أم محمد تدفـــع مخاوفي بقولها «من ترك شيئًا لله عوضه خيرًا منه». أما ثروتي فقد وزعتها جميعها على من رأيتهم أحوج لها، أذكر منهم شـــيخًا كان يحفّظ القرآن للأطفال فأعطيته رزمة كبيرة من المال ليصلح بها شـــأنه وشأن طلابه، فإذا به يكتب بعد شـــهور في الصحف عن هذا الموقـــف ويقول بأنه لم يكن يعرفني ساعتها، وقد لقيني بعدها وصرت أدرس عنده.

وهكذا وزعت بقية ما عندي من مال وما أبقيت لنفســـي إلا ســـيارتي فبعتها وأمســـكت بها نفســـي وأهلي ريثما أدبر عملاً جديدًا، كما أن والدي وقف إلى جانبي في هذه الفترة.

ألم تفكر في لعب دور ما حيال الصراع الأهلي؟

أرى أنني نجحت في النأي بنفســـي عن الانحيـــاز لأي طرف، ما جعلني شخصية مقبولة لدى عامة الصوماليين وأمكنني من توجيه النصح لهم كلما سنحت الفرصة بأن يتركوا التحزب والافتراق ويسرعوا إلى فضيلة الاجتماع، فمـــا من أحد إلا ويعلم مـــرارة الواقع الذي خلفته الصراعات الأهلية والسياسية وأنا شخصيًا كدت أن أكون ضحية لها لولا لطف الله والعقلاء، وأكتفي بهذه الإشارة.

كم بقيت بلا عمل؟

ثلاث سنوات من عام ١٩٨٨م وحتى ١٩٩١م، ومرت على أسرتي الصغيرة أيام لم نجد فيها طعامًا نأكله، مما دفعني للسفر إلى المملكة العربية الســـعودية والنزول بمدينة جدة بحثًا عن عمل. فعملت فراشًـــا بأحد مســـاجدها وكنت مســـرورًا جدًا بهذه الوظيفة رغـــم تواضعها ، إذ بها ســـأنفق على أهلي وســـأتمكن من مراجعة حفظي للقرآن الكريم والجلوس إلى دروس العلم.. لن أستطيع وصف مشاعري تلك اللحظة.

إذن لم تكن مغادرتك بسبب الحرب الأهلية؟

لا .. كانت طلبًا للرزق فقط، لكني عدت إلى مقديشو في عام ١٩٩٣م بعد عامين مـــن الاغتراب بنيّة الاســـتقرار، لكن الصراع اســـتعر في البـــلاد فقررت في ذات العام الرجوع مرة أخـــرى إلى جدة وتهيئة حالي لأصطحب زوجتي وابني محمد معـــي، فأمكن لي ذلك وعملت مؤذنًا لأحد المساجد في جدة ثم انتقلت إلى الرياض.

شخصيات في جدة عالقة في ذهنك ؟

كثيرون، منهم الشـــيخ علـــي عبدالله جابر - رحمـــه الله- وقف إلى جانبي كثيرًا وأحبني وأحببته، بعد أن تعرفت عليه صدفة في مسجد بقشان حيث كان يصلي بالناس التراويح، وقد أفدت جدًا من نصائحه التي حفزتني لحفظ القرآن الكريم.

ما سبب انتقالك إلى الرياض؟

فـــي إحدى زياراته الدبلوماســـية إلى الصومال تعرفت على الشـــيخ عبدالرحمـــن الدمياطـــي -رحمه الله- ، ولما ســـمع بأنني في المملكة قدم لي الدعوة لزيارته في الرياض، فلبيت الدعوة في رمضان ١٤١٨هـ، وبواســـطة الدمياطي تعرفـــت على معالي الشـــيخ حمد بن صالح الحمودي - رحمه الله- رئيس الشؤون الخاصة لسمو ولي العهد -وقتها- الملك عبدالله رحمه الله، وكان اللقاء به في مســـجده فرفعت النداء للصـــلاة بناءً على طلبهما، فأعجب معالي الشـــيخ الحمودي بصوتي وعينني مؤذنًا وبقيت معه ست سنوات وإلى أن توفي رحمه الله، كنت ألقى منه الرعاية وحسن المعشر.

أين أتممت حفظ القرآن الكريم؟

في مدرســـة بالريـــاض تابعة للمركـــز الخيري لتعليم القـــرآن الكريم وعلومـــه، بعد أن رأيت إعلانًا لهم في الحـــي الذي أقطنه، حيث يوفرون مشايخ متخصصين لتحفيظ القرآن الكريم وتدريس العلوم الشرعية، وخلال ثلاث سنوات راجعت معهم ما أحفظ وحفظت المتبقي.

إذن نرتقب مصحفًا مرتلاً بصوتك؟

إن شاء الله، إذا تيســـر من يتكفل بالأمر فنيًا وماديًا، وربما أسجل أكثر مـــن مصحف لأني أخطط للحفظ بروايات أخـــرى بعد أن جوّدت رواية حفص عن عاصم.

بماذا تختم؟

بنداء لأهل القبلة أن يتحدوا فيمـــا يواجهنا من فتن، ولأهل الصومال خاصة أن يتركوا الافتراق ويتجهوا لبناء البلد. كما أشكر قيادة المملكة العربية السعودية على ما توليه من عناية فائقة لكتاب الله تعالى.

إستراتيجية واقعية لحماية الإسلام والمسلمين

د. عبدالقادر الشيخلي

مستشار في رابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة

يحاول هذا المقال الإجابة على التساؤلات الأربعة الآتية:

ما الأخطار المحدقة بالإسلام والمسلمين ؟ وما أسبابها؟ وما نتائجها؟ وما الحل؟

أستعين بالله الواحد الأحد. فألج في صلب الموضوع مباشرة، متخطياً أية مقدمة أو تمهيد. فالموضوع يفرض نفسه وليس بحاجة إلى ذلك.

الجواب الأول : الأخطار المحدقة بالإسلام والمسلمين

إن رصد وتحديد الأخطار المُحدقة بدين الإسلام وبالعالم الإسلامي هي الخطوة الأولى للإستراتيجية الحمائية. فيتعين تحديد كافة صور وأشكال الأخطار، سواء أكانت كُبرى أم صُغرى، مباشرة أم غير مباشرة، وهذا يقتضي:

وصف الخطر .

تحديد المصدر.

غاية الخطر.

متى يمكن تخطيه؟

إن الأخطار المحدقة بنا هي:

إثارة الاحتراب الطائفي والمذهبي بين المسلمين وحدهم .

تقسيم المُقسَّم وتجزئة المجزأ من كيانات دول العالم الإسلامي.

جذب الشباب اليائس إلى الانضمام للتنظيمات المتطرفة.

وللأسف الشديد فإن بعض الحكومات الإسلامية تعزف على هذا المنوال، فهي لا تتورع بإثارة النزاعات بين طوائف المسلمين لكي تسود الأقلية، وتُهضم حقوق الأكثرية، فـ«الآخر» وجد فرصة تاريخية لمن يعاونه مباشرةً ومجاناً في إثارة الاحتراب الطائفي، إذ إنه بعد تاريخ ١١ سبتمبر ٢٠٠١م وجد المعادون من مفكري الغرب أن أفضل طريقة

لإيقاف تأثير الإسلام في العالم، وإضعاف قوى المسلمين في كافة أصقاعهم وأقاليمهم هو الاحتراب بين طوائف الإسلام، إذ يتم بذلك الصراع داخلياً، فيضر الأخ أخاه وهو من نفس دينه وعقيدته، بينما «الآخر» يشعر بالارتياح لهذا الاحتراب الذي كان أمنية عزيزة عليه في الماضي، وها هو في الوقت الحاضر يحققه بعقول وأيدي المسلمين أنفسهم.

إن من الأخطار ما يُشيب لها الولدان، والعاقل الحصيف هو من يدرك ضعفنا ويعرف قوة « الآخر» . فهذا الضعف هو حقيقة موضوعية قد يخفيها المضللون، وقوة « الآخر» لا ينكرها إلا جاهل أو متجاهل أو مستجهل . فإن من الضرورة إدراك واقعنا باعتبارنا شعوباً إسلامية، وأسباب هذا الواقع مما يتطلب الدراسة بدءاً من ضعف اقتصاديات الدول الإسلامية. وإذا قدَّر البعض بأن الاقتصاد قويٌّ بفعل الموارد النفطية أو في وجود بنى تحتية كاملة، فهذا كلام ترقيعي إذا ما قارناه مع اقتصاديات الدول العشر الأولى في العالم، وهذه الدول هي التي تتحكم باقتصاديات الدول الأخرى، فتصدر لنا التضخم النقدي، وهي التي تتلاعب بأسعار الدولار وغيره من العملات العالمية كما تتلاعب بأسعار النفط، فترفع وتخفض هذا أو ذاك وفق مصلحة صادراتها وواردتها.

وزبدة القول في هذا الشأن إن الغرب يستورد منا النفط وهو يسعى أن لا يزودنا بالثمن النقدي (الدولارات أو اليوريات) ، وإنما يريد أن يدفع مقابل نفطنا أسلحة يقتل فيها الأخ أخاه، وبدأت تنشط عندهم مصانع الأسلحة المتطورة لصالح جيوشها، وتسويق أسلحة جيوشها التقليدية وبيعها إلى البلدان النامية.

وهم يسعون إلى إثارة الحروب الإقليمية والنزاعات الداخلية وتشجيع حركات الانفصال داخل دول العالم الإسلامي لكي يدب الضعف في هذه الدول.

وجدير بالذكر أن القانون الدولي العام كان مشكوكاً في كونه قانوناً بالمعنى الفني أو الواقعي بسبب كونه خالياً من العقوبات المادية، وفَكَّرَ مفكرو الغرب من أصحاب المصانع العسكرية والدوائية وابتكروا نظام الحصار الاقتصادي، ومنع السفر لرجالات الدولة أو استدعاءهم للمحكمة الجنائية الدولية، وهكذا استمر الحصار لدول إسلامية طيلة خمس عشرة سنة! فهل سمعتم بلداً غير مسلم فُرض عليه الحصار؟ حينما تمرد الصرب على إرادة الغرب قرر مجلس الأمن فرض عقوبات حصار عليهم، وكانت مسرحية مفبركة، إذ إن هذا الحصار رُفع خلال ستة أشهر! بينما الغذاء والدواء يُمنع عن دول إسلامية بفعل الحصار، فلماذا يُفرض الحصار علينا ولا يُفرض على دول بوذية، أو هندوسية، أو طاوية، أو كنفشيوسية، ومعظمها يُعاني من الأنظمة الدكتاتورية! السبب واضح وضوح الشمس في رابعة النهار، وهو نفس السبب الذي يدفعنا للتفكير جدياً في مغادرة حالة الضعف والذل والتخلف التي نحن فيها.

الجواب الثاني : أسباب الأخطار المحدقة

إن أسباب الأخطار المُحدقة في العالم الإسلامي متمثلة في ضعف المسلمين دولياً وداخلياً، وهذا الضعف ناجم عن تخلف اقتصادي واجتماعي كبير. فمنذ قرن أو نصفه تحررت معظم الدول الإسلامية من الاستعمار الغربي، وبدلاً من مجيء أنظمة تبحث عن مواطن القوة والتطوير في شعوبها ومجتمعاتها، إذ بها يهمها «أمن النظام» وليس «أمن الوطن» أو «أمن الدولة». وبدلاً من أن تتطور المجتمعات الإسلامية إلى المستوى الذي تطورت فيه المجتمعات الأخرى ولا سيما كوريا الجنوبية مثلاً، نجد أن المجتمعات الإسلامية تسير سير السلحفاة . فلا يبدو التطور إلا قشرة في الحداثة، وأصبحنا بين ليلة وضحاها نستورد كافة منتجات تقدم العلوم والتكنولوجيات الحديثة وحتى المواد الغذائية!! دون أن نستطيع أن نسهم في هذا التقدم كما فعلت الهند مثلاً . ومن قال إن الإسلام سبب تخلفنا إنما يثبت تخلف رؤيته واستنتاجه. فالهند مؤلفة من مجموعة من اللغات والمجتمعات ذات الأديان التي تعبد التماثيل كما تعبد آلهة الأرض، ولكن تخلفها الديني في المجتمع صاحبه لدى قياديها ومثقفيها وعي متقدم في المجالات السياسية والاقتصادية للحكم، فالخرافات والأساطير التي تحكم العقلية الاجتماعية ما حالت دون أن تصبح الهند الدولة الأولى في العالم في صناعة البرمجيات وتصديرها.

ولعل من المفيد تأكيد أن الأخطار المُحدقة بعالمنا الإسلامي ناجمة أيضاً من «نقمة الآخر» على اتساع رقعة المسلمين حجماً وعدداً، وتدفقهم المستمر والمنتظم في قارات الأرض، بحيث أصبح الدين الإسلامي الدين الوحيد الذي أخذ بالاتساع والهيمنة الثقافية والاجتماعية في مجتمعات جديدة عليه في العالم.

ولو ألقى «الآخر» نظرة عجلى على الحرم المكي حيث الكعبة المباركة التي يتدفق إليها الملايين تلو الملايين لأغراض العمرة والحج، فما هذه المسيرة المنتظمة الدائمة حول الكعبة المشرفة؟ إنهم ينظرون إليها نظرة فوقية وشكلية تتمثل في حشود تلو حشود، تسير في انتظام غير مفهوم لدى «الآخر»، أما لدى المسلمين فإن قلوبهم هي التي تعلقت برب العزَّة فلم يجدوا محيصاً إلا زيارة بيته المعمور في «سُنَّة العمرة»، و«أداء فريضة الحج» ومن يؤمن يُفكر بطريقة تختلف عمن لا يؤمن، ومن استقر الإيمان في سويداء قلبه غير من لم يجد حلاوة في هذا الإيمان الراسخ.

الجواب الثالث : نتائج الأخطار المحدقة

الأخطار المحدقة جد خطيرة . فهي تهدد كيان الأمة ككل . صحيح أن الإسلام والمسلمين واجهوا طيلة القرون الخمسة عشر الماضية صنوفاً متعددة ومتنوعة من العداء، والغزو، والاستعمار، والاضطهاد، إلا أن الحال في الوقت الحاضر تختلف اختلافاً نوعياً وجوهرياً، فالأسلحة الحربية والنفسية والثقافية أصبحت أكثر فتكاً وأعظم تأثيراً، والعولمة الاقتصادية والثقافية تغلغلت في سائر مفاصل

المجتمعات الإسلامية، وأصبح بعضها مجتمعات هشَّة، وبعضها مخترقاً، وبعضها ضعيفاً، وبعضها مستعداً لاعتناق عقيدة «الآخر».
إن الإسلام خرج من كافة المؤامرات والدسائس الموجهة ضده طيلة تاريخه المديد، أقوى كياناً وأثبت وجوداً، أما «الآخر» فيسعى بجهد جهيد إلى تحليل أسباب صمود الإسلام طيلة هذه القرون وبقائه مرفوع الرأس. صحيح أن رب العزَّة كان هو المُعين لهذا الدين الحنيف ولأهله الطيبين ما أعانوا أنفسهم، ولكن لا يأتي عون من الله إلى من تخلى عن إعانة نفسه، والله تعالى لا يرحم من لا يرحم أخاه والأمر لا يتوقف على مقولة: «العودة إلى الله» فإن دراسة أسباب التخلف العام وكيفية تجاوزه إنما تحتاج إلى استراتيجية علمية وواقعية، فلا تواجه المخاطر الماثلة بشعارات سياسية أو بمبادئ ثقافية، فالمؤمن القوي كما يقول حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم، أفضل من المؤمن الضعيف، فكيف ننتظر الفرج إن لم نبادر بتجاوز أرضية التخلف والضعف والاستكانة؟

الجواب الرابع : والآن جاء دور الحل

كلما كان الحل واقعياً كان قابلاً للتطبيق، ويكون واقعياً إذا انبثق من صميم الواقع الاقتصادي والاجتماعي والثقافي السائد، أما الحلول مُنبتة الصلة عن الواقع فهي تضاف إلى ملفات الإصلاح المودعة في رفوف الحفظ فيمر عليها التاريخ المعاصر بسخرية وهزء.
إن الخطوة الأولى في الحل: تتمثل في تحديد قدراتنا البشرية والمادية (المعادن، الأرض، إلخ) والمعنوية (القادة الفاعلين، الروح المعنوية، الإيمان بالتقدم واللحاق بالأقوياء)، إن أي دولة أو شعب أو مجتمع أو فرد لن ينطلق نحو الأمام وحيال المستقبل إلا بعد أن يرصد قدراته كاملة غير منقوصة فلا يزيد فيها، ولا يبخس منها، وبحجم هذه القدرات ونوعها يمكن رسم طبيعة الحل فيكون واقعياً في ضوء حجم القدرات ونوعها.
الخطوة الثانية: تجييش جهود المثقفين من علماء ومفكرين وكُتّاب لصالح التغيير .
من الضرورة أن يدرك المثقف الملتزم حجم المخاطر التي تحيق به في منطقة الشرق الأوسط وغيرها، وتعمدت الإشارة إلى الملتزم لأن من بين أقطاب هذا الصنف من المثقفين من يهمه الشأن العام، سواءً أكان شأن بلاده أم شأن العالم الإسلامي أم شأن البشرية جمعاء، فغير الملتزم هو مثقف مرتزق يبيع قلمه لمن يدفع أكثر، وهو أجير لقوى الفساد والضلالة، بينما المثقف الملتزم يُجنِّد عقله وقلمه لرسم واقع المجتمعات من مآس أو سعادات فيستجيب للعاطفة الإنسانية ويُجنِّد طاقاته الشخصية للخدمة العامة دون أن ينتظر ورود شكر أو مكافأة لعمله النبيل من هذا أو ذاك ومن الضرورة أن تتوقف بعض الحكومات عن تهميش المثقف أو إهماله، فهذه القوة هي لصالح الشعب ، ومن الجريمة تجميدها أو إهمالها.
أنت الآن أيها المثقف الملتزم في وديعة الله ثم في الولاء للشعب والحق، فلا تخذل أي واحد منهم، حرصاً على قيمة الالتزام التي تحليت بها في ثقافتك وفي منهج حياتك.
الخطوة الثالثة: إدراك الحكومات الإسلامية أن دورها أكثر من جوهري، يتمثل في مصارحة شعوبها أن ثمة أخطاراً مُحدقة في العالم الإسلامي، دولاً ومجتمعات ديناً وثقافةً، ويتعين أن تكون الأفضلية لديها هي سيادة الشعوب والمجتمعات لا سيادة المسيطر على القرار السياسي في بعض النظم الإسلامية.
الخطوة الرابعة: هي أعظم ما يمكن تحقيقه: تأسيس منظمة تعاون اقتصادي إسلامي، تضم كافة الدول العربية والإسلامية، ويكون بابها مفتوحاً أمام أية دولة أخرى ترغب بنزاهة وشرف وصدق في الانضمام لهذا الاتحاد الاقتصادي الكبير .
إن إنشاء كيان اقتصادي موحد للعالم الإسلامي يكون خطوة ماثلة لما فعلته أوروبا، إذ بعد عشرات السنين من الحروب بين الألمان والفرنسيين، وبين الإنجليز والفرنسيين، وما تمخضت عنه الحرب العالمية الثانية من قتل خمسين مليون مواطن أوروبي، وتدمير البنى التحتية، وانحطاط اقتصادياتها إلى الحضيض، فإنهم أدركوا أن الاتحاد بين هذه الدول لصالح مستقبلها.
إن سياسة الصراعات وإذكاء نيران الفتن بين المذاهب التي تتبناها بعض الدول الإسلامية لن توصل منطقتنا إلى أهدافها، وإنما تكون على حساب التنمية الشاملة المستدامة، فيبقى الفقر، بل يتسع، وتظهر انحرافات اجتماعية جديدة بفعل الواقع الاقتصادي، إذ يجب أن لا تُنفق الثروة على الحروب وإنما على الإنسان وترقية حياته في مجالات الثقافة والتربية والتعليم والصحة.
ويجب أن يكون ماثلاً في أذهاننا وأمام أعيننا مخطط الفوضى الخلاَّقة الذي يهدف إلى زعزعة مجتمعاتنا، ولا تبقى دولة كُبرى قوية في الشرق الأوسط إلا الدولة التي يرعاها الغرب والتي فشلت ستون اعتراضاً (فيتو) في مجلس الأمن لكي يدينها على استعمارها الاستيطاني وتشريدها لشعب كامل من أرضه المباركة. فإذا بقينا نتفرج فإن الأخطار لن تزول وإنما يجب التفكير ملياً بالحل الواقعي الذي ينبغي أن يحشد الجميع جهودهم لتنفيذه والمتمثل ببناء القوة الاقتصادية، وهي قوة أساسية لبناء القوة السياسية والقوة العسكرية، فألمانيا والهند والصين هي دول من الدرجة الأولى بسبب اقتصادياتهم العظيمة المزدهرة، ولم تعد الدول تتحارب بالعسكر والأسلحة وإنما تتحارب بالبضائع والسلع الحديثة، الأمر الذي يتطلب أن نعمل لكي تصبح المصلحة الإسلامية أسمى من مصلحة الأفراد والجماعات، وأعلى من جشع القطاع الخاص، فالخطر مُحدق بالجميع، حكومات ومحكومين، والحكمة تقتضي إدراك حجم هذا الخطر ونوعه، ثم التحرك لمواجهته من قبل الجميع بدون استثناء.

الكليات العربية بالديار الميبارية في الهند

منصور محمد ميران الهدوي الميباري

جمهورية الهند ـ كيرالا

اللغة العربية هي لغة العالم الإسلامي من جزيرة العرب إلى الأندلس، ومنها إلى الصين، وحينما استوطن العرب الهند دخلت معهم هذه اللغة الهند. ومع انتشار الإسلام انتشرت اللغة العربية والعلوم الدينية في نواحيها، لا سيما في الميبار، واعتنى بها المسلمون عناية كبيرة في جميع مراحل التعليم، في المدارس والمساجد والكليات والجامعات. وقد تسبب استخدام المسلمين ومداولتهم للألفاظ العربية في انتشار الكلمات العربية في بلدة كيرالا، وشاع استخدامها حتى دخلت بعض مفرداتها في اللهجات المحلية، ثم في لغاتها الأهلية، وانسجمت تلك الألفاظ مع لغات الهند كلها، ومنها لغة (مليالم)، حيث لا يمكن اليوم رد كثير من الألفاظ العربية إلى أصلها لانسجامها مع تلك اللهجة أو اللغة.

استهل المسلمون أولا الكتاتيب لتعليم القرآن والتعاليم الدينية للأطفال والحلقات الدراسية في المساجد، ثم تطورت بعض تلك الحلقات لتصبح مراكز كبيرة للتعليم، وسميت بالدروس المسجدية. وعلى مر الدهور لجأ بعض أهالي كيرالا إلى حظيرة الإسلام، واجتمعوا لدراسة الإسلام في الحلقات الدراسية التي انعقدت في كل مسجد، إذ كان مبتدؤها ظهور الإسلام وبدء المساجد في هذه البقعة.

ومن المعروف أن إقامة المعاهد الدينية والمكتبات الدراسية بجنب المعابد من عادات الهندوس المأخوذة من أهل بوذا، ووافق ذلك تقليدًا إسلاميًا أصيلاً، فأصبحت المساجد في كيرالا مراكز التعليم والتدريب الدينية، وتتابعت الحالة إلى قرون عدة متتالية، ووصل بعض العلماء والأدباء إلى ذروة الشهرة، مثل عبد الله بن عبدالرحمن الميباري وعبد الله بن أحمد الكاليكوتي، واشتهر عدد كبير من هؤلاء العلماء بتأليفاتهم العربية في النثر والنظم، مثل القاضي أبو بكر بن رمضان، والشيخ زين الدين بن علي وأمثالهما. و كانت فنان (Ponnani) المعروفة بلقب "مكة ميبار"، من المراكز الشهيرة في كيرالا للدروس الإسلامية ودراسة اللغة العربية، وبرز منها شهاب الدين أحمد بن عثمان اليمني وأحمد زين الدين بن محمد الغزالي (م ٩٩٤هـ / ١٥٨٥م)، ومن أقدم الدروس المسجدية جامع كاليكوت وجامع شاليات وغيرهما، ومن المراكز القديمة درس مسجد بتانور الذي أقيم بجامعها سنة ١٣٩٠م، ولم يزل هذا المركز قائما وفي ذروة شهرته إلى أن حطمته الحكومة الإنجليزية وحبست مدرسيه سنة ١٣٤٠هـ / ١٩٢١م إثر الثورة الميبارية. وهناك مراكز أخرى للتعليم والتربية في كيرالا، كانت تدرس جملة العلوم والدراسات الإسلامية من تفسير القرآن وعلومه، والحديث

وأصوله، والفقه والتصوف والقصائد العربية وقواعد اللغة العربية والسيرة النبوية والمنطق والمعاني وعلم الكلام وعلم الأفلاك والنجوم وعلم الحساب والجغرافيا والتاريخ وغيرها. والأمر الذي ينقص هذه الدروس المسجدية هو عدم وجود مناهج دراسية منظمة لكثير منها، وأكثرها كان يجري على نظام ومناهج مدرسيها، إلا أن هناك منهجًا فخريا عاما منسوبا إلى فخر الدين رمضان الشاليلياتي. وعقب الثورة المليبارية قام بعض مصلحي الأمة المسلمة بإقامة جمعية أيكيم (الاتحاد) وجمعية العلماء بكيرالا (١٣٩٣هـ / ١٩٢٤م)، وجمعية العلماء بسمست كيرالا (١٩٢٦م)، فنشأت المدارس الدينية والكليات العربية، وأدى هذا النشاط إلى تقليل أهمية الدروس المسجدية.

مدارس دينية ومعاهد تقليدية ذات سبق

نُقلت بعض الدروس الابتدائية من الحلقات الدراسية بالمساجد إلى الكتاتيب، وكان الطلاب يتمرنون فيها على قراءة القرآن دون شرح معانيه، وحفظ بعض الأدعية والأذكار، حيث كانت تلك الكتاتيب من دون نظام ولا ترتيب، ولم تكن تعتني بتدريس اللغة العربية. وفي أواسط القرن العشرين حدثت بعض التطورات في التعليم الديني بأيدي بعض المصلحين مثل الشيخ السيد شاللاكت كنج أحمد الحاج (م ١٣٣٨هـ / ١٩١٨م)، الذي اعتنى بتعليم صغار التلاميذ اللغة العربية في جميع مدارسهم ولغة ملیالم لغتهم الأم في وقت واحد، كي يتفوقوا في كليهما معا، وألف الكتب الدراسية وفق منهج جديد، وجعل لكل صف منهجاً، ونتيجة لهذا ارتفعت في شتى أنحاء كيرالا مدارس جديدة تحولت من الدروس المسجدية الصغيرة أو الكبيرة ثم ارتفع شأن بعضها إلى أن سميت بالكليات فيما بعد.

وعلى هذا النحو ارتفع مستوى المدارس الإبتدائية الدينية، وتبدلت الكتاتيب بعد فترة بمدارس مدنية بمساعدة مالية من الحكومة المحلية، فالدراسات الدينية بها انحصرت خارج وقتها الرسمي صباحا، ففكر المسلمون بهذا الشأن الحرج، وأكملوا مشاريع المدارس الدينية في كيرالا بنجاح نادر، ولها اليوم مناهج دراسية مقررة تحت جمعيات تعتني بها كثيرا.

رأت جمعية العلماء بعموم كيرالا من واجبها إقرار المناهج الدراسية المناسبة لهذه المدارس الدينية التي توسعت في شتى أنحاء الولاية، فاتفق العلماء على مشروع بحل هذه المشكلة، وأسسوا سنة ١٣٧١هـ / ١٩٥١م مجلس التعليم الإسلامي برئاسة الشيخ محيي الدين كتى المولوي بفرونا، ومعظم المدارس الدينية في كيرالا مسجلة تحت هذه الجمعية، ومن سوء الحظ انقسمت هذه الجمعية إلى قسمين: قسم باسم جمعية العلماء بكيرالا وجمعية سمست كيرالا، ولكل منهما تنظيمها الخاص ومجلسها العلمي.

الكليات العربية المشهورة

حاليا توجد في كيرالا نحو مائة كلية عربية، فثمة كليات أقرتها الجامعات والحكومة وكليات غير معترف بها، وبعض الكليات المعترف بها تتكفل الحكومة برواتب الأساتذة، ويحصل بعضها على مساعدات مالية قليلة، وأما الكليات غير المعترف بها فإنها منسوبة إلى جمعيات العلماء والجماعة الإسلامية و جمعية العلماء لعموم كيرالا، وأصحاب ندوة المجاهدين، ومنها ما لا ينسب إلى أي حزب من الأحزاب.

ومن أقدم هذه الكليات كلية دار العلوم بوازكات، ومنشؤها من درس مسجدي تطور شيئًا فشيئاً حتى صار مدرسة كبيرة، ثم ارتقت إلى مستوى كلية. يقال إنها أسست سنة ١٨٧٢م، وفي سنة ١٩١٢م فوض تدريسها إلى الشيخ شاليلاكت كنج أحمد المولوي فأحسن رعايتها، وبعد أن غادرها الشيخ الشاليلاكت، أقام كلية أخرى ببلدة منارکات على منهجه الجديد. وأقرت جامعة مدراس كلية دار العلوم بوازكات سنة ١٩٤٢م أول كلية في مليبار تهيئ طلبتها لشهادة أفضل العلماء، وأغلقت الكلية وأزيل إقرارها من الجامعة سنة ١٩٤٦م لبعض الخلافات الداخلية، وفيما بعد تتابعت الحالة إلى أن أجازتها جامعة كاليكوت سنة ١٩٧٢م.

افتتحت في آلواي جنوب كيرالا سنة ١٩١٤م كلية عربية بجهد السيد الهمداني، ولكنها لم تدم لعدم وجود هيئة مستقرة بها، وفي أواخر الثلاثينيات في القرن العشرين للميلاد شرع أبو الصباح أحمد علي الأزهري (١٩٧١م) بإنشاء كلية عربية باسم روضة العلوم سنة ١٩٤٢م في آنكايم قريب منجيري وأقرتها جامعة مدراس سنة ١٩٤٤م، وفي سنة ١٩٤٧نقلت من منجيري إلى فاروق. وبنيت في قطعة أرض أهداها عبد الله كوتي الحاج، وكان المكان مكتظا بالغابات يومذاك، وقد ازدهرت هذه الكلية وارتفعت بجوارها كلية فاروق للعلوم والفنون، والمعاهد العلمية الأخرى من أعمال الشيخ أبي الصباح التي يصل عددها عشرة معاهد مختلفة مبتدئة من روضة الأطفال ومنتهية بدرجات عالية ودراسات مستحدثة من البكالوريوس والماجستير، وكل مؤسساتها معترف بها لدى الحكومة، لذا فإن الحكومة تؤدي رواتب الأساتذة الشهرية، ويستفيد منها نحو ثلاثة آلاف طالب وطالبة، وتضم الكلية مكتبة ضخمة بها مجموعات كبيرة من الكتب النفيسة.

ومن الكليات القديمة كلية مدينة العلوم بفولكل التي تأسست سنة ١٩٤٧م، أسسها المولوي إم سي سي عبد الرحمن وأخوه إم سي سي حسن وأيضا كلية سلم السلام التي أسست عام١٩٤٤م التي اضطلعت بدورها في ترقية التربية والتعليم وإنقاذ المسلمين من الخرافات والخزعبلات العقدية وترويج اللغة العربية والعلوم الدينية، وتم إقرار مناهجها ونظمها الدراسية فيما بعد من جامعة مدراس ثم جامعة كيرالا وجامعة كاليكوت سنة ١٩٦٨م، ويدرس فيها الأدب العربي والإنجليزي. ومن المراكز العلمية ذات الشأن مركز دار النجاة الإسلامية -كروراكند ، والذي يقع في أقصى شرق مديرية مالابورم ، وكان في بدايته دارًا للأيتام سنة ١٩٧٧م، ويضم اليوم حوالي ١٥٠٠طالب وطالبة.

وتقع كلية أنوار الإسلام بكنيل في مقاطعة مالابورم، والتي أسست سنة ١٩٦١ على يدي لجنة حماة الإسلام، وتمنح بكالوريوس اللغة العربية، وفي الكلية قسم للبنات. ومن الكليات العربية كلية أنصار الإسلام - ولونور، وكلية دار الإرشاد ببارال، وكلية نضرة الإسلام بكدتور،

والكلية السنية العربية بشيدمنغلور.

كليات (غير مقررة) لها صوت وصدى في ربوع المليبار

هي كليات مستقلة في كيرالا يقوم بمصالحها لجان خاصة، ومنها الكليات المنسوبة إلى السلفيين أو جمعية العلماء أو ندوة العلماء بكيرالا، أو الجامعة الندوية بأدونا وكلية المجاهدين بفارالي وكلية بستان العلوم بكيفا منغلم والكلية السلفية بألبلاد وكلية الصباح بكوكور. ومن الكليات المنسوبة إلى الجماعة الإسلامية الكلية الإصلاحية بثيندا منغلور (١٩٥٢) والجامعة الإسلامية بشانتابورام والكلية العالية بكاسركوت، وهي من الكليات الأولى، ولهذه الجماعة كليات أخرى.

ومن الكليات المنسوبة إلى جمعيات أهل السنة والجماعة: الجامعة النورية بفيضاباد وخريجوها يمنحون شهادة المولوي والفيضي، ويخدمون الأمة مدرسين ودعاة. وجامعة دار الهدي الإسلامية التي تقع في ولاية كيرلا الهندية الجنوبية تعدُّ مؤسسة سباقة في التعليم العالي الإسلامي بالهند، إذ توفر الجامعة مناهج دراسية تمزج ما بين الدراسات الدينية والأخرى التطبيقية فضلا عن التركيز على تدريس مختلف اللغات. ويقع المبنى الجامعي المترامي الأطراف لهذه الجامعة العريقة على مساحة ١٣ فدانا، ويضم ما يزيد على عشرين كلية عربية للتعليم الإسلامي العالي في ولايات كيرالا ومهاراشترا وآندرابراديش وبنغال الغربية وآسام.

ويُذكر أن اتحاد علماء السنة بولاية كيرالا يدير نحو تسعة آلاف مدرسة، تعمل بدوام جزئي في أنحاء كيرلا من أجل إدخال الإصلاحات على نظام التعليم، وقد أسس مدرسة تحمل اسم أكاديمية دار الهدى الإسلامية عام ١٩٨٦، ولاحقا خلال عام ٢٠٠٩ أصبحت الأكاديمية جامعة متكاملة الأركان.

ولدى المؤسسة نظام مميز من التعليم، إذ يتخرج الطالب حاملا درجة الماجستير في الدراسات الإسلامية والتعليم العلماني المعاصر وعلى درجة إلمام جيدة باللغات الميليبارية والعربية والإنجليزية والأردية. أما بالنسبة للكليات الموجودة داخل الجامعة ، فتشمل أربع كليات: كلية الشريعة وأصول الدين، وكلية الألسن، وكلية الدعوة والثقافة الإسلامية ، وكلية التربية والتعاليم الإسلامية. وهناك أيضًا مركز الثقافة السنية بكاليكوت، والكلية الرحمانية بكدمبري التي أسست عام ١٩٧٦م، وتميزت منذ بدايتها بأنشطتها وفعالياتها في مجال العلم والتعليم، وهي تهدف إلى تثقيف الطلاب الملتحقين بها، وتكوينهم علماء مخلصين ومتخصصين في علوم الدين متزودين بالمستجدات العصرية، ليتحقق بهم تبليغ رسالة الإسلام الخالدة وغرس الروح الإسلامية وتنميتها في حياة الفرد والمجتمع.

تمكن هذا المجمع الإسلامي في فترة قصيرة من تسجيل بصماته المتميزة في خارطة الدعوة الدينية في أراضي الهند، وحقق في محافظة كاليكوت أهدافه النبيلة في نشر التعاليم الدينية وإعداد الكوادر الدعوية، وذلك بفضل جهود المشرفين على نشاطاته وإخلاص القائمين على إدارته، وتتلخص أهدافه في تعليم الكتاب والسنة على مستوى عالٍ بجميع ما يتعلق بهما من العلوم، وتدريس اللغة العربية، وتخريجٍ علماء ضليعين في العلوم، حريصين على نشر الإسلام، يتمتعون بكفاءة عالية لخدمة الدعوة والرسالة على نهج يتطلبه العصر الحديث ومتطلباته.

أما مركز التربية الإسلامية بفالانجيري من مقاطعة مالابورم، فتقوم عليه هيئة علمية تعتبر جامعة إسلامية، وتنتسب إليها ٣٤ كلية إسلامية في مختلف أنحاء ولاية كيرالا. وتقوم هذه الهيئة بإدارة الجانب العلمي للكليات المنتسبة إليها. تأسست عام ٢٠٠٠ بجهود مخلصة بذلها جمع من علماء أهل السنة والجماعة، حيث قاموا بعمل تنسيق علمي وتكاتف أكاديمي بين كلياتهم التي كانت تتبع مناهج موحدة، واعترفت بها جمعية العلماء لعموم كيرلا كبرى الجمعيات الدينية فى كيرلا، كما اعترفت بها جامعة الأزهر الشريف بالقاهرة، حيث وُقعت اتفاقية تعاون علمي وثقافي بينهما. تحظى هذه الهيئة بتأييد المفكرين المسلمين والنشطاء التربويين والطلاب وجماهير أولياء الأمور، حيث تشهد الكليات المنتسبة إليها تدفقاً عارماً من الطلاب الراغبين في الالتحاق بها في هذه الآونة التي يواجه فيها التعليم الديني الكساد، تهدف هذه الهيئة إلى إعادة صياغة العقلية الإسلامية في قالب المجد التاريخي، وتسعى من أجل ذلك إلى توحيد المناهج الدراسية في مجال التعليم الديني العالي وتطويرها وفقا للأصول والمبادئ الإسلامية في ظروف التطورات الهائلة التي يشهدها العالم في مجال العلم والتقنية.

لقد اعترفت حكومة كيرالا بأهمية اللغة العربية، وجعلتها موضوعا داخل المناهج المدرسية، وهي تهتم في المدارس المدنية بتوظيف المعلمين لتدريس اللغة العربية، فلا تخلو في كيرالا حاليا مدرسة ابتدائية إلا وفيها مدرس للعربية بوجه العموم.

وضع اللغة العربية في الجامعات المختلفة

وهكذا تجد اللغة العربية اهتمامًا يليق بها من قبل الطلاب والمسؤولين، حتى صارت العربية بمثابة لغة ثانية، إضافة إلى كونها موضوع الدراسة التخصصية في مرحلتي البكالوريوس والماجستير، كما يستطيع الطالب إكمال دورات تدريبية في تدريس اللغة العربية بعد مرحلة البكالوريوس.

إن الأسر التي تولت زمام اللغة العربية ونشرها في كيرالا من القرن التاسع إلى القرن الرابع عشر الهجري هي أسرة القضاة بكاليكوت، وأسرة المخاديم بفناني، وبعدهما أسرة السادات الباعلويين، الذين جاؤوا من اليمن واستوطنوا بمنفرم قريب تورونغادي، وأسرة السادات البخاريين الذين استوطنوا بجاواكاد. وتبعا لنشاطات هؤلاء السادات والعلماء انتشرت في البلاد مراكز كثيرة من حلقات الدروس في المساجد، وأنجبت هذه المراكز كثيرا من العلماء والأدباء والكتاب البارزين الذين نشروا العلم، وأقاموا مدارس وكليات وجامعات للمواطنين الميباريين والأقليات الإسلامية.

مرعي الأنصاري .. رجل بكته الرابطة

بقلم: د. عبد الله حسين الشيعاني

الموت هو الحقيقة التي يؤمن بها كل البشر ، ويعرفون أن نهايتنا في هذه الدنيا وانتقالنا للحياة الآخرة لا تكون إلا بالموت ، قال الله تعالى (كل نفس ذائقة الموت) ، ولكن المحزن هو الفراق ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : «أتاني جبريل، فقال: يا محمد عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزي به، واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل، وعزَّه استغناؤه عن الناس» رواه الطبراني في الأوسط. ما جعلني أكتب هذا المقال هو انتقال الأستاذ مرعي الأنصاري مدير الأمن في رابطة العالم الإسلامي إلى جوار ربه مطلع هذا الشهر.

لقد كان يوماً مختلفاً عن كل الأيام ، فقدت الرابطة بموته رجلاً مخلصاً لدينه ووطنه وأمته، قضى معظم حياته في خدمة الناس، وقضاء حوائجهم، والسير في خدمة المستضعفين والأرامل وذوي الاحتياجات ممن ضاقت بهم الدنيا، ولاذوا إلى الرابطة رغبة منهم في قضاء مصالحهم فكان لهم المعين والنصير.

من النادر أن يتفق الناس على حب رجل ولكنهم أجمعوا على حبه ، تجده من أول الحاضرين إلى العمل، وآخر المغادرين من الرابطة ، لا يخرج من المقر حتى يتأكد بنفسه بأن الجميع قد غادر المبنى ، ويطمئن على صحة كل واحد ممن يعرف بأنه مرض أو تغيب ، كان يتعامل مع الجميع على أنهم أشخاص مقربون له ، لا يفرق بين كبير أو صغير ، مسؤول أو موظف ، يلقاهم بوجه مبتسم ، رغم الألم الذي يحمله ، والمرض الذي أنهك قواه .

عرفته سباقاً للخير في صمت غريب ، كان لا يرد أحداً جاء إلى الرابطة يطلب المساعدة، خاصة الأرامل والضعفاء، وهنا أذكر بعض المواقف لهذا الرجل، كان يتصل بزملائه في الرابطة ليسدد فاتورة كهرباء لأرملة، أو تحويل مريض إلى مستشفى، أو تسهيل سفر طالب علم تعثر إلى بلاده ، ولا يتوانى عن ذلك أبداً، ولا يجد في سبيل تحقيق السعادة لهم أي خجل أو ملل.

من هذه المواقف ما حصل قبل شهر من وفاته، حين اتصل بصديق له يطلب منه مساعدة طفلة لا يعرفها جاء أهلها يطلبون المساعدة في إجراء عملية جراحية لورم أصابها في الغدة الدرقية ولا يملكون المبلغ المطلوب لإجرائها، وبعد أن أجريت العملية ذهب واطمأن عليها ثم اتصل يتشكر من فاعل الخير ويبشره بنجاح العملية، كانت آخر حالة تمنى مساعدتها بأن يعالج طفلة تركية أصابها المرض الخبيث في الدم، فسعى جاهداً يبحث عمن يساعدها ويسهم في علاجها .

رحمك الله يا مرعي الأنصاري وأسكنك فسيح جناته ، لقد بكتك الرابطة يوم رحيلك ، ولكن لا نقول إلا كما أمرنا الله في كتابه : (إنا لله وإنا إليه راجعون) .

جامع الإمام محمد بن عبدالوهاب - قطر